الجامعة اليسوعية

معهد الآداب الشرقية

قسم التاريخ

دبلوم الدراسات العليا

بحث تاريخي مقدم من الطالب فارس نايف كحل

صقلّية : المنارة العربية الثالثة .

دراسة تاريخية للجزيرة ابان الحكم العربي واستيلاء النورمان عليها .

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من هدى الانسان الى لغة
الحروف لتعبر عن مكنونات النفوس
ولتحفظ تراث اجيال سابقة فتكون منارة لاجيال لاحقة
تهديهم الى سواء السبيل .

مقدمة البحث

يرتبط تاريخ جزيرة صقلية في هذه الفترة التى القي فيها الضوء على قيام الحكم العربي الاسلامي فيها ،ارتباطا وثيقا بعصر ازدهار الحكم العربي وبلوغة قمة المجد في عصر هارون الرشيد ،وفي جميع الامصار التي وصل اليها المد الاسلامي من حدود الصين شرقا الى حدود الرون في فرنسا غربا .

ويأتي استيلاء الاغالبة حكام القيروان في شمال افريقية من قبل الخلافة العباسية في بغداد على جزيرة صِقِلِّيَة تتويجا للجهود الرائعة التي بذلها العرب منذ عهد معاوية بن ابي سفيان للسيطرة على الممرات المائية في البحر الابيض المتوسط الموصلة بين سواحلة ،وتطويق الامبراطورية البيزنطية ،ودحر اسطولها الذي كان ما فتئ يشنّ الغارات المتتالية على سواحل الشام ومصر وافريقية ،هذا فضلا عمّا كان يسببه من الكثير من المشاكل للولاة العرب في تلك الانحاء ،وما كانت تبعثة هذة الغارات من الرعب في قلوب السكان وما كانت تخلفه من مآسي وما كانت تحدثة من من دمار في الممتلكات .

كما كان الهدف ايضا جعل هذا البحر الذي كان يطلق علية اسم بحر الروم بحيرة اسلامية .

ولقد تحققت جهود العرب بالعديد من الانتصارات الباهرة في الحوض الشرقي والغربي للبحر المتوسط ،وجعلت اساطيل بيزنطة - رغم عراقة كعبها ورسوخ قدمها في عالم البحار ،ورغم الجهود المضنية التي بذلتها للحفاظ على ما كان بيدها من ممتلكات - تنزوي محسورة محطّمة ،واصبح البحر المتوسط بحيرة اسلامية بالفعل ،تسير فوق مياهه الزرقاء الصافية سفنهم جائية وغادية تحمل شعلة نور الاسلام .

شعلة الحرية والتسامح لجميع الشعوب.
وقد بيّنت في ثنايا هذا البحث ما تم تحقيقه من روائع باهرة على ايدي هؤلاء الافذاذ من قواد وجنود نذروا نفوسهم في سبيل رفع راية الحرية والاخاء والمساواة لجميع الشعوب وجميع البشر دون تمييز ولا تفرقة ،واعطوا خلاصة عقولهم وقدموا جهودهم بصدق وامانة واخلاص.

ولقد هدفت من معالجتي لموضوع فتح صقلّية ،وقيام الحكم العربي الاسلامي فيها ،القاء بعض الضوء على هذه الفترة المجيدة من تاريخ العرب الاماجد آملا استطاعة كشف بعض صفحات غامضة من تاريخنا المجيد طواها الزمان ،وما قدمه هؤلاء الاجداد البواسل من التضحيات الجسيمة والتصميم الرائع الذي بذلوه في حمل راية الاسلام الى كل مكان ،هادفين انقاذ البشريّة من وهدة الظلام الدامس الذي تردّت فيه سنين طويلة ،ومن ظلم الانسان واستبداده بأخيه الانسان واستعباده له .

وانني لارجو ان اكون قد اصبت فيما هدفت اليه ،والله أسأل التوفيق وتسديد الخطأ انه رحمن رحيم .
بدأت بحثي باعطاء لمحة جغرافية عن الجزيرة . موقعها ـ مساحتها ـ مناخها ـ اسماء بعض المدن واهميتها ،وذلك لان ظني ان هذا سيفيد البحث ولعلاقة ذلك بالموضوع الذي اعالجه . وقد قسمت هذا البحث الى عدة حلقات تتصل مع بعضها لتشكل الهيكل العام للموضوع برمته .
عالجت في الموضوع الاول الغزو الفينيقي لجزيرة صقلية كأول عرق سامي خرج من الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ،وكشف الطريق البحري الذي يقود اليها ومنها ،واقام فوق ارضها مراكز هامة كان لها آثار عميقة انطبعت على سكان الجزيرة من النواحي الحضارية والعمرانية والزراعية .

في الموضوع الثاني بينتُّ جهود العرب منذ عهد معاوية بن ابي سفيان في سبيل انشاء اسطول عربي ، والجهود التي بذلت بعد ازدياد خطر الاسطول البيزنطي على سواحل البلاد التي تمت سيطرة العرب عليها ، وهي: بلاد الشام ، ومصر ، وشمال افريقية ، واهمية السيطرة على جزر البحر المتوسط ، وخاصة صقلية نظرا للعوامل العديدة التي تكونت فيما بعد فوق ارضها ، كان اهمها نقل العاصمة البيزنطية اليها زمن الامبراطور قنسطانز الثاني ، ولاهمية الجزيرة القصوى للعرب من حيث وقوعها على اهم طريق بحري يربط سواحل الشام ومصر بالشمال الافريقي ، والاندلس ، ولقربها الشديد من ايطاليا مركز الثقل الثاني بعد القسطنطينية للبيزنطيين ، ولتفاقم خطر الغزوات البحرية التي كان يشنها البيزنطيون خلال تقدم الجيوش العربية في الشمال الافريقي من قواعدها في صقلية وجنوب ايطاليا .

ثالثا - استيلاء الاغالبة حكام القيروان على الجزيرة ، وما رافق هذا الفتح من امور جسيمة ، كانت كفة العرب ترجح احيانا ، واحيانا تخف ليتم اخيرا النصر لهم .

رابعا - قيام الدولة الفاطمية ، وخضوع صقلية لهم ، وقيام الاسرة الكلبية بالحكم في الجزيرة ، ومن ثم الاستيلاء على سواحل اقليم كلبرية في ايطاليا ، وانشاء قواعد عسكرية فيها .

خامسا - تقدم العرب في جبال الالب ووصولهم الى سويسرا ، واقامت مراكز ونقاط على اهم الطرق في جبال الالب .

سادسا - اسباب سقوط صقلية في ايدي النورماندين ، وعقدت مقارنة بين تسامح الحكام النورماندين اتجاه المسلمين بالجزيرة وبين تسامح العرب المسلمين تجاه رعاياهم المسيحيين ، ثم القيت بعض الضوء على الهجمات التي قام بها النورمنديون على السواحل الاسلامية في افريقية ومصر وبلاد الشام .

ثم الحقت هذا البحث ببعض الملاحق التي تساعد على اعطاء بعض الصور التي توضح بعض نواحي هذا البحث .

وبعـــد .

ارجو ان يتقبله مني كل من مدّ لي يد العون وساعدني في اكمال هذا البحث خالص التقدير وجزيل الشكر .

ان التاريخ حافل بالعبر والعظات ،
وخير دليل يتعظ به المرء هو كتاب
التاريخ ، لما فيه من تجارب الاولين
وجليل اعمال المتقدمين ·

جغرافية صقلية .

تشبه صقلية في شكلها مثلث ضخم اطرافه حرف المنارة او رأس بيلور[١] ورأس العصفور الذي يليه جنوبا ،وهي محاطة بثلاث ابحر . البحر الايوني شرقا ، والبحر التيراني شمالا ،والبحر الصقلّي او الافريقي جنوبا .

المساحة :

تبلغ مساحة الجزيرة خمسة وعشرون الفا واربعمائة وستون كيلو مترا اذا حسبت الجزيرات المحدقة بها ،وحسب قول الرحالة العرب ،يبلغ طولها سبعة ايام في اربعة[٢] ،ودورتها خمسة عشر يوما[٣] . ويفصلها عن ايطاليا بوغاز ضيّق يبلغ عرضه نحو ٣ كم ،وهذا ماجعلها ترتبط ارتباطا مباشرا مع شبه الجزيرة الايطالية ، وضيق هذه المساحة كان السبب الاساسي في كثرة ارسال البيزنطيين لقواتهم الى الجزيرة ، وبالتالي عدم استقرار العرب فيها الّا بعد ان تم لهم الاستيلاء على سواحل اقليم كلابريا الايطالي ،واقامة مراكز عسكرية قوية على طول الساحل المقابل لجزيرة صقليّة ، وشن الغارات على مدن ايطاليا الداخلية لاضعاف قوة العدو وكسر معنويات جنوده فيما لو فكر بغزوهم فيما بعد .

اهم مدن الجزيرة الواقعة على قاعدة المثلث : أميرسه ،ترميني،وبلرم ،وهذه الاخيرة اهم مدن الجزيرة ،فقد كانت عاصمة الجزيرة قبل ان يستولي عليها العرب المسلمون ،كما انهم اتخذوها ايضا عاصمة لهم ،وبقية تتمتع بذلك حتى الآن .

وبلرم ام الحضارة ،والجامعة بين الحسنيين غضارة ونضارة[٤] . وهي مفتنة من مفاتن الطبيعة ،تاخذ العيون بخليجها وسهلها الاخضر المذّهب المسمى بالغوطة الذهبية ويسقيها وادي عباس[٥] ، وكانت هذه المدينة زمن الحكم العربي تتألف من مدينتين داخلية ،وخارجية ،وكان الربض يحتوي على دار الامارة والدواوين والاسواق ،

١ - مارتينو ماريو/ المسلمون في صقلية ٢ - المسالك والممالك/ لابن حوقل المكتبة ص ٤
٣ - المسالك والممالك/ لابن خرداذبة : المكتبة ص ٥٠ . ٤- ابن جبير / الرحلة ص ٢٧٢
٥- احسن التقاسيم للمقدسي / المسلمون في صقلية .

وكانت المدينة الخارجة مسورّة ولسورها اربعة ابواب هي : باب كتّامة ـ باب الفتوح ـ باب البنود ـ باب الصناعة ـ .

اما الشاطئ الغربي فاهم امصاره مدينة Marsala وهو اسم عربي (مرسى علي) ثم مازَرَه (Mazara) وهي مدينة اقامها الفينيقيون على مايعتقد.[٦] وهذه المدينة هي اول ارض وطأت فوقها اقدام الفاتحين العرب حينما غزاها اسد بن الفرات سنة ٢١٢هـ ثم (كركنته) ومرساها (جيله) التي كانت احدى عواصم اليونان حينما كانوا يبسطون ظلهم هناك.

وعلى الشاطئ الشمالي تقع (سيراكوزه) واغوسطه ، و(مسينه):

ويطل على سهل كتانيا جبل (إتْنا) البركان الحي الذي استقطب اهتمام وشغف المؤرخين العرب حينما كان يثور ويقذف با لحمم المشتعلة التي كانت تضيء الى مسافات بعيدة وتشبه في شكلها حيوانات واعضاء آدميين لهم اجسام عمالقة يهوون الى البحر .

وفي داخل الجزيرة توجد مدن اهمها (ALcamo) علقمه ، وقصر يانّه ، ومدن اخرى مثل (دمنش) ، (الخالصة) و(اطرابنش) و(قطانيه) (رمطه).

ويصف الشريف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق[٢] (ومدينة مسيني هذه في ركن من الجزيرة بشرقيّها ، والجبال من الناحية الغربية محدقة بها ، وساحلها بهج ، واراضيها طيّبة المنابت ، وبها جنّات وبساتين ذات ثمار كثيرة ، وبها الحط والاقلاع وبها الارساء من جميع بلاد الروم الساحلية ، وبها تجتمع السفن الكبار والتّجار المسافرين من بلاد الروم والاسلام ،

١ـ ماريتنو ماريو ـ المسلمون في صقلية . "٢" المكتبة العربية الصقلية ص ٣٤

وفي جبالها معدن الحديد ومرساها العجب العجيب ،وذلك ان اكبر ما يكون من السفن العظام يرسي من الشاطئ بحيث يتناول ما فيها من البر بالايدي ،وبها المجاز الذي يعبر منه الى بلدة قلورية) .

وتبدو صقلية ارض جبال وهضاب قليلة السهول محدودة المساحة ،واعلى قمم جبالها تبلغ نحو الفي متر عدا جبل اتنا البركاني الذي يبلغ ارتفاعه (٣٢٦٣م) ،واهم سهول الجزيرة من حيث الخصب وغزارة الانتاج الزراعي غوطة بالرمو ،وسهل كتانيا الذي يغطيه البركان باستمرار بالمقذوفات البركانية الخصبة.

المناخ:

مناخ صقلية معتدل صيفا وشتاء مع بعض صفات مناخ الساحل الافريقي الشمالي ،وتسقط الامطار في الجزيرة في فصلي الخريف والشتاء ولا تظهر الثلوج الا شتاء وعلى قمم الجبال،كما تعتبر صقلية باستثناء قممها الشامخة دهليز ليبيا وتونس من جهة المناخ .

اهم انهارها (السيميتو) ويصب في البحر الايوني و وفي الشمال نهر يأخذ اسمه من اللغة العربية هو القنطرة(ALcantara) ونهر عباس الذي يغذي العاصمة بلرمو.

وقد بلغ عدد السكان إبّان الحكم العربي للجزيرة نحو من ١٦٠٠٠٠٠ مليون وستمائة الف نسمة.

ثروة الجزيرة .

قبل دخول العرب الى صقلية كانت تعتمد اعتمادا شبه كامل على زراعة القمح ،وكان اباطرة روما وباباواتها فيما بعد يملكون الاقطاعات الواسعة ،ويسخّرون الاهالي في زراعتها لتموين الجيش ورجال الكنيسة بالحبوب، والمعادن في صقلية

ليست على شيء من الكثرة ولكن يوجد فيها قليل من الحديد والزفت والقطران والنوشادر ،واهم معادنها معدن الكبريت الذي كان يصدّر الى الخارج .

بعد دخول العرب اليها استحدثوا فيها زراعات عديدة من اهمها الأرزّ والكتان والبصل والقطن وقصب السكر والفاكهة بانواعها ،واصبحت صقلية تتمع بشهرة مرموقة في انتاج الفواكه والبصل حتى انهم استحدثوا طرقا جديدة في زراعتها ،فيقال طريقة صقلية في زراعة البصل ،وطريقة صقلية في زراعة الكتان وكان نتيجة لهذه النهضة الزراعية والصناعية الجديدة وللحركة التجارية النشطة مع الشمال الافريقي وبقيّة المدن الاسلامية والايطالية ان تدفقت الثروة على الجزيرة ،ونعم السكان بشيء من الرفاه ،كما اهتم الصقليّون بتربية الحيوانات التي ادخلها العرب الى الجزيرة ،وكان اهمها تربية الخيل والبغال ،كما كانوا يتعاطون حرفة صيد السمك بالاضافة الى الاموال التي تدخل من المكوس المفروضة على البضائع والسفن الاجنبية التي تمر بموانئ الجزيرة .

الفاتحون الاول

لبنان رغم خيراته الوافرة ،وجماله الفتّان،لم يستطع ان يكبح جماح الطموح الفينيقي المتمثل بحب المغامرة وكشف المجهول • فبعد ان طاب لهم المقام ردحا من الزمن نازعتهم نفوسهم للترحال والمغامرة ،فبنوا سفنهم الشراعية المتقنة وملؤوها بآخر ما ابتكرته عقولهم الناضجة المتفتحة ،من مخترعات ،واثمن ما انتجته أرضهم من طيّبات ،وساروا منطلقين بعد ان تعلّموا في مدرستهم الكبرى البحر المتوسط فنّ ركوب المياه وتذليل الامواج • وانه مما لاشك فيه ان البحر المتوسط كان المدرسة الاولى الذي علم الفينيقيين فن ركوب المياه ،فبمياهه الزرقاء الهادئة وبوفرة جزره الفاتنه وبقرب سواحله وصلاحها للرسو ،والاحتماء عندما تهب عواصف الشتاء ،جعل الفينيقيين يقدمون دون كبير وجل على ركوب لججه وخوض غماره •

ومما لاشك فيه ان شجاعة الفينيقيين وحبهم للمغامرة وجرأتهم الفائقة جعلتهم ايضا يتفوقون في هذا الوقت المبكر في ركوب المياه •

وانه لمما يدعو الى الاعجاب بهولاء القوم ،هو اطّلاعهم الواسع ومعرفتهم الكبيرة في اصلح الطرقات واهون السبل التي يجب عليهم اتّباعها للوصول الى الاماكن التي يهدفون طرق ارضها ،ولم يجبنوا امام اليم ،لقد كانت عزيمتهم من القوة والثبات ورباطة الجأش بمكان ،ولم يكن المجهول يثنيهم عن اهدافهم التي يسعون الى تحقيقها •

لقد سلك الفينيقيون طرقا بحرية معينة محدودة ،واول مكان بدأوا منه المسير كان من جبيل " بيبلوس" الى المدن المصرية ،وكانت سفنهم الشراعية تسلك الشاطئ الشرقي للبحر ،تقطع المسافة جيئة وذهابا تحمل ارز لبنان وعطوره وحديده وفخاره وزجاجه واصباغه الارجوانية الرائعة الى ملوك مصر الفرعونية ،وتعود محملة بنفيس التحف والجواهر •

وبعد ان تبوأت صور وصيدا رئاسة المدن الفينيقية اخذت السفن تيمم شطر جزيرة قبرص ،ومنها تتقدم غربا محتمية بجبال طوروس وجزيرة رودس ،ومن ثم الى كريت وصقلية ومن صقلية يصعدون نحو مستعمراتهم الهامة التي اقاموها في شمال افريقية و من هناك يتابعون نحو ارض الاندلس"١" .

لقد ربط الفينيقيون لاول مرة في التاريخ"٢" ما بين سواحل البحر الشرقية والشمالية والغربية والجنوبية ،ولهم يرجع الفضل في السبق الى هذا الميدان ،فهم رواد التاريخ القديم ،وهم المكتشفون الأوائل الذين فتحوا الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط امام المشرق ،وهم الذين رفعوا نور الحضارة والمدنية في شمال افريقية ،ولولاهم لما استطاعت صقلية ان تتعرف على الكثير من فنون العمارة والصناعة والزراعة .

كان الفينيقيون شعبا تجاريا ،وكان نشاطهم كله موجها نحو هذه الغاية وكان لابد للتجارة من عمليات كتابية لتسهيل المعاملات التجارية والمالية، لذا اخترعوا ابجديتهم العظيمة التي فتحت لهم اعظم طريق سارت الشعوب على هديه فيما بعد نحو الكتابة الابجدية .

كان هدف الفينيقيون في حقيقة الامر التجارة فقط ،لذا ساروا على سياسة منظمة ودقيقة نحو اقامة محطات ووكالات تجارية على طول الطرق التي توصلهم بآخر مستعمراتهم التي اقاموها للتبادل التجاري و واستطاعوا ان يكتشفوا في هذه البلاد الكنوز المعدنية المخبأة في باطن الارض في كل من صقلية وشمال افريقية واسبانيا"٣" ، واستغلوا شعوب هذه المناطق باستخراج تلك الكنوز.

١ـ الدكتور فيليب حتي/ لبنان في التاريخ ص١١٦
٢ـ الدكتور محمد السيد غلاب/ الساحل الفينيقي وظهيره ص٤٨٦
٣ـ المرجع السابق ص ٤٨٧ .

وقد ساهموا بقسط وافر وغني في انتشار الحضارة والمدنية في حوض البحر الابيض المتوسط بأجمعه، واستطاعوا ان يبنوا مدنا ويقيموا حضارة ويعلّموا السكان الصناعة، والزراعة، والكتابة، وقدروا أن يسيطروا بمهارة فائقة على جميع الممرات والمعابر المائية الهامة في البحر المتوسط ومضيق جبل طارق، وبقوا في تلك الاصقاع ردحا طويلا من الزمن لم يستطع مخلوق ان يزحزحهم منها حتى قيام الامبراطورية الرومانية وقد سخّرت جهودا جبارة حتى استطاعت زحزحتهم.

وكان آخر من خاض الصراع على برهنة حقيقة ملكية الفينيقيون للبحر المتوسط القائد القرطاجي الشهير (هنيبعل) الفينيقي الاصل الذي وطئت اقدام جنده ارض الرومان في ايطاليا، واستطاع مرات عديدة الانتصار على جحافلهم الجرارة.

لقد تمتعت صقلية منذ تاريخها المبكر بمركز استراتيجي هام، وكانت خلال تاريخها المتتابع منذ القدم ملفتة للانظار، نظرا لاهمية وقوعها على افضل طريق يصل حوض البحر الغربي بشمال افريقية، ولقربها الشديد من شواطئ ايطاليا وقد اكتشف الفينيقيون اهميتها منذ ان مروا لاول مرة بسواحلها، فالقوا مراسي سفنهم وانطلقوا يقيمون مدنا لهم فوق ارضها، وفي اماكن خصبة غرزوا جذور اشجار الزيتون والكروم التي استقدموها معهم من شوامخ جبال لبنان. "١"

وكانت اقدامهم اول اقدام سامية وطئت تراب الجزيرة، وكانت مدنهم (مونيا) (وايريكس) و(بانورومس) "بالرمو" و (سوليس) اول مدن بنيت بايدي سامية فوقها. وفي هذه المدن انشأوا مصانع الزجاج والنسيج والصباغة والتطريز. "٢"

كان وصول الفينيقيين الى جزيرة صقلية حوالي عام ١٢٠٠ق م، وكانت غايتهم ان يبقوا

١- المرجع السابق.
٢- المرجع السابق.

فيها وان لايخرجوا ابدا ،ولكن الاقدار لم تشـأ ان تبقيهم ،ولم يقدر لهم الاقامة النهائية هنـاك. لقد خرجوا من صـقلية وبقيت آثارهم تشـهد بعظمتهم وتنطق بروعة ماقدموه .

ولقدجاء احفادهم بعد لأي ونزلوا نفس المكان الذي نزل فيـه الاجداد واقاموا صـرح الحضـارة الانسـانية ،واضـاءوا مصـباحها فغمر النور اجزاء شاسعة من الكـون ما زالت آثاره باقية حتى الآن تعطي الدليل الواضح لكل مـن يبـغي الحـقيقة .

الـدور الثـاني ..

الفاتحـون العـرب .

ان فتح العرب لجزيرة صـقلية في عهد زيادة الله بن الاغلـب حاكم أفريقية من قبل الخلافـة العبـاسـية في بغـداد ،لم يكن وليد سـاعتـه. ولم تكـن فكرة غزو الجزيرة وليدة طلب فيمي من حاكم القيروان مسـاعدته على فتحها سنة ٢١٢هـ انما يعود التفكير بغزو الجزيرة الى زمن معـاوية بن أبي سـفيان حينما كان واليا على الشـام .

وقد تعددت الآراء حول السـنة التي قاد فيها معـاوية بن حديج "١" اسـطوله الى هذه الجزيرة حينما امره بذلك معـاوية بن ابي سـفيان . ومن الممكن ان يكون قد حدث ذلك ما بين سـنة ٤٦ و ٤٩ هـ .

ولم يكن هدف معـاوية من غزو الجزيرة هو السـلب والنهب على اكبر الظن . فقد كانت هنـاك اماكن واسـعة لم يفتحها المسـلمون بعد ،وهم على وشـك الشروع بـها وبامكانهم ان يغزوا تلك المناطق بالجيـوش البرية دون تعريض الجيش لاخطار البحر واهواله .

كما ان خليفة المسـلمين في المدينة عمر بن الخطاب كان قد نهى عامله على الشام معـاوية بن ابي سـفيان نفسـه من مغبة تعريض ارواح المسـلمين لهذا الخطر الرهيب .

وكانت هناك اسـباب عديدة جعلت معـاوية يقدم على هذه الخطوة ،منها :

١ـ بعد ان خضعت العراق وبلاد الشـام ومصـر للنفوذ الاسـلامي ،وانتهت السيطرة البيزنطية تقريبا على شـمال افريقيا ،اتخذ البيزنطيون خطة شـن الحملات البحرية على السـواحل الاسـلاميـة ،وازاء هذا الوضع ادرك معـاوية حاكم الشـام انه لا يمكن الدفاع عن سـواحل بلاد الشـام ومصر بالجنود البرية ،بل لا بد له اذا ما اراد

١ـ البلاذري .تحقيق صلاح الدين المنجد ج ١ ص ٢٧٨ ـ تاريخ البحرية الاسلامية ـ تأليف السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي .

انتبقى هذه الشوطئ مرهوبة الجانب ،ان يبدأ في انشاء اسطول بحري يدفع خطر البيزنطيين المتزايد،خاصة وان سفنهم اخذت تشن حملات شعواء على تلك السواحل .

حقيقة ان العرب في اول عهدهم كانوا يخشون البحر،ولم يألفوا ركوبه وخوض لججه ،وكانت الامور على عكس ذلك في البر،فقد كانت الجيوش العربية تخوض المعارك البرية بسهولة ويسر،وكان النصر يرفرف دائما فوق هامات الجند ،واستطاعوا بفترة وجيزة اكتساح امبراطورية الفرس واحتلال بلاد الشام ومصر وافريقية بمعارك برية ،ولكن عند وصولهم الى الشواطئ البحرية الواقعة على البحر المتوسط حيث كانت بيزنطه لازالت لها اليد الطولى على شواطئه - اخذت تواجههم صعوبات كبيرة واخطار جسيمة نتيجة لغارات الاساطيل البيزنطية على مدن السواحل الاسلامية في بلاد الشام ومصر وشمال افريقية . ولاقت الاسكندرية اعنف هذه الغارات ضراوة ووحشية حيث استعاد البيزنطيون المدينة سنة ٦٤٥م بهجوم بحري عنيف ،وقد تكلف الجيش العربي في سبيل اخراجهم منها الكثير من التعب والمشقة،وقد امر قائد هذا الجيش ووالي مصر عمرو بن العاص بهدم اسوار المدينة وحصونها حتى لا تجد حملة مستقبلة حصونا تمكنها من الصمود امام قوات الجيش العربي .

ازاء الامر الواقع بدأ حاكم الشام - بعد ان أضاء له خليفة المسلمين في المدينة عثمان بن عفان النور الاخضر - في بناء السفن في صور وصيدا ، وامر عمّاله في مصر باقامة دار لصناعة السفن . وتكون للعرب اول اسطول بحري استطاعوا به منذ البداية الانتصار في اول غارة لهم على جزيرة قبرص واجبروها على ان تعقد معهم صلحا ،وكانت معركة ذات الصواري سنة ٦٥٥م اهم هذه المعارك جميعا حيث استطاعت بضع سفن عربية لا تتجاوز ٢٠٠ سفينة

---

١ - ارشيبالد / لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص ٩١ .

التغلب على الاسطول البيزنطي المكون من ١٠٠٠ سفينة ، وانتهى الامر بكارثة للبيزنطيين ، ونجا الامبراطور قنسطانز الثاني باعجوبة ، واجبر على نقل عاصمته الى جزيرة صقلّية علّه يستطيع العمل من تلك الجهات على استعادة كرامته التي اخذت تداس تحت اقدام اساطيل العرب الظافرين .

وهذا الامر يظهر لنا مبلغ الخطر الذي اخذ العرب يحسبون له الف حساب وكان هذا من اهم الاسباب التي وجهت انظار العرب للقيام بتحطيم الاسطول البيزنطي المتواجد في جزيرة صقلّية .

٢ـ افتتحت القوة البحرية العربية الفتية عهدها بالانتصار الساحق على اساطيل البيزنطيين ، واستطاعوا دحرهم في مواقع بحرية عديدة ، وكانت موقعة ذات الصواري سنة ٦٥٥م اهمها جميعا بحيث قضي تقريبا على جميع قطع الاسطول البيزنطي ، وافلت الامبراطور تاركا اسطوله اشلاء على صفحة البحر المتوسط . وقد اكتسب البحارة العرب نتيجة لهذه المعارك ، خبرة في القتال البحري جعلتهم يطلّقون فكرة الخوف من ركوب البحر ، وزادتهم هذه الانتصارات ايمانا بمقدرتهم الفائقة على خوض لجة اليمّ فانطلقوا يشنّون الغارات على سواحل البحر المتوسط الغربية وعلى مركز المقاومة البيزنطية في تلك الجزر .

٣ ـ معظم العناصر المسيحية والبيزنطيين بصورة خاصة غادروا اماكنهم في شمال افريقية وسواحل مصر والشام ، وذهب قسم كبير منهم الى جزيرة صقلية على اثر دخول العرب واستيلائهم على هذه البلاد ، وقد شكلت هذه العناصر مجتمعة قوة محاربة كانت تقوم بمساعدة البيزنطيين حينما يغيرون على المراكز العربية . وقد اضطر حاكم القيروان موسى بن نصير ان يقود بنفسه حملة بحرية سنة ٧٠٨م واستطاع اسر حاكم جزيرة ميورقة البيزنطي .

٤ ـــ كان لابدّ للمسافر الى شمال افريقية من والى مصر والشام ان يمر بحرا في جزر الساحل الغربي وخاصة صقليّة نظرا لعدم صلاحية الشاطئ الشرقي وحيث ان هذه الجزر تقع جميعها تحت السيطرة البيزنطية ،كان لابدّ من الاستيلاء على هذا الممر المائي الهام وتسهيل المواصلات بحرا الى الاراضي الجديدة التي اخذ العرب بفتحها في شمال افريقية ٠

٥ ـــ بالاضافة للعوامل والدوافع السابقة بالنسبة للعرب المسلمين،كان هناك دافع قوي ايضا يحثهم على الحرب والجهاد ، هو :

نشر الدين الاسلامي ٠

وتجمعت كل هذه العناصر لتشكل الهدف الكبير والسبب الملحّ الذي سعى اليه العرب للانطلاق نحو البحر لفتح جزيرة صقليّة وسواحل ايطاليا وخضد شوكة البيزنطيين هناك ٠

كانت أهم الغزوات التي قام العرب بها الى جزيرة صقليّة هي تلك التي حدثت سنة ١٢٢هـ على يد حبيب بن ابي عبيدة حفيد عقبة بن نافع فاتح افريقية ومعه ابنه عبد الرحمن ،وكانت غزوات العرب قبلا على هذه الجزر تكتسب طابع الاغارة دون التفكير بالفتح المنظم ،ولكن حبيب كان في نيته هذه المرّة ان يمضي في فتح الجزيرة كلها ،"١" وبينما كانت جيوشه تتقدم فوق ارض صقلية جاءته الانباء من افريقية ان ميسرة السقاء احد زعماء البربر قام بثورة في افريقية وعليه العودة لدفع الخطر المستجد ٠ فترك الجزيرة وفي نفسه امل العودة لفتحها ٠ على ان هذه الغزوات نبهت اذهان البيزنطيين الى الخطر الذي يتهددهم فشرعوا

---

١ ـــ احسان عباس : العرب في صقلية ص٣١ ٠

في تحصين الجزيرة ،ولم يتركوا مرتفعا الا اقاموا فوقه حصنا اوقلعة ولم يتركوا مدينة الا حصنوها ، وهذا مما زاد الامور صعوبة على الاغالبه حينما شرعوا بفتح الجزيرة ، وقد استطال فتحها سنين عديدة بسبب هذه التحصينات.

فتح صقلية في عهد الاغالبه .

لقد تعددت الاسباب التي دعت زيادة الله بن الاغلب الى ان يتخذ قراره بفتح جزيرة صقلية ، وتكليف قاضي القيروان اسد بن الفرات بقيادة الجيش العربي سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م رغم المعاهدة المبرمة مع الامبراطورية البيزنطية. ويمكن اجمال الاسباب التي دفعته لذلك بالنقاط التالية .

١ـ سياسة الاغالبة البحرية :

لقد ادرك ابراهيم بن الاغلب مؤسس اسرة الاغالبة بعد ان اقره الخليفة العباسي هارون الرشيد على ولاية افريقية سنة ٨٠٠م ان امتداد هذه الولاية من طرابلس شرقا الى بجاية غربا ، يتطلب منه اسطولا قويا لحماية هذه السواحل من خطر الهجمات البيزنطية ، وفي نفس الوقت يمكنه ان يعود لشن الغارات البحرية على جزر البحر المتوسط الغربية بعد ان توقفت ردحا من الزمن بسبب الفتن التي حدثت في افريقية .

وقد ساعده على بناء الاسطول وفرة المواد اللازمة لهذه الصناعة. كما ان قدرات السكان البحرية كانت واضحة في ميولهم المتجلية لركوب البحر وخوض لججه ، وقد نما الاسطول وتزايد عدده بشكل ملموس في عهد زيادة الله. وبانطلاق الاسطول نحو جزر البحر الغربية تتحقق آمال المسلمين القديمة في افتتاح صقلية ، وتتم سيادة العرب على الجزء الغربي للبحر المتوسط.

٢ـ علاقة صقلية بافريقية ، واهميتها الاقتصادية والحربية .

كانت علاقة صقلية بافريقية خلال تاريخها الطويل علاقة وطيدة الارتباط، وقد لاحظنا خلال تعرضنا للفينيقيين انهم حالما انطلقوا نحو الغرب فكروا في السيطرة

على جزيرة صـقلّية نظرا لموقعها الهام في هذا الجزء من البحر ،وعاد العرب المسلمون ففعلوا ذلك ايضا عندما تمت لهم السيطرة على بلاد الشام ومصر . فجزيرة صقلية بحكم موقعها الاستراتيجي في الجزء المقابل للساحل الايطالي تتحكم بالطريق الهام الذي يصلها بافريقية ويصل افريقيا بايطاليا ، ومن ثم بجزر كريت وقبرص وسواحل الشام ومصر ،وقد كانت جزيرة صقلّية على شيئ من الخصب ووفرة المواد الزراعية وتعدد مصادر المياه كما يوجد في ترابها عدد من المعادن الهامة للصناعة مثل : الحديد والنحاس والزئبق"١" ،وبالتالي فهي بلاد يمكنها ان تقدم موردا هاما لحكام افريقية يساعدهم على الخروج من الضائقة المالية التي اصابة البلاد نتيجة للثورات العديدة التي قام فيها البربر حيث اصابت من البلاد مقتلا .

٣ـ الرباطات والجهاد في سبيل الله .

كانت الثورات التي تقوم في افريقية كثيرة ومتعدده ،ولا يمكن القضاء عليها الّا بعد بذل جهود شاقة ومضنية وكانت في كل مرة تترك هذه الحروب آثارسيئة في نفوس البعض من هؤلاء السكان الكارهين للقتل والدمار التي يتعرضون لها نتيجة لقيام تلك الثورات ،ولهذا السبب والى حالة الفقر التي بدأت تعم البلاد ،نزح الكثيرون الى التصوف واقامة الرباطات في الثغور،ونذروا نفوسهم في سبيل خدمة الدين الاسلامي ،والجهاد في سبيل الله .

وكثر عدد الرباطات في الثغور المغربية مثل : سوسة ،والمنستير

١ـ لقد اشاد عدد من المؤرخين العرب القدماء بجزيرة صقلية مثل البكري والادريسي والحميري وياقوت ،واجمعوا على ان صقلية كانت خصبة كثيرة البلدان وبها عيون وانهار عجيبة وفيها معدن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق وتنبت ارضها بجميع الفواكه والثمار على اختلاف انواعها .

وازدحمت هذه الرباطات بطائفة من المسلمين المتحمسين الذين كانو يعتبرون الجهاد في سبيل الله والشهادة في سبيل الدين اسمى مرحلة يستطيع المؤمن ان يصل اليها .

وقد استغل زيادة الله بن الاغلب هذه النزعة في نفوس هؤلاء المتصوفة عندما قرر غزو صقلية ، وعين واحدا منهم قائدا لهذه الحملة ، وهو القاضي اسد بن الفرات قاضي القيروان ، وقد اكتسب بذلك ثقة ومحبة هؤلاء المجاهدين .

٤ــ التخلص من العناصر الثائرة ، وتوجيه انظار السكان نحو الخارج .

لم تكن الثورات في افريقية تهدأ الا لتعود من جديد"[١] ، ولم يكن هناك من سبيل لازاحة تلك العناصر التي كانت تثير الشغب وتنشر الفتن في البلاد الا بتوجيه انظارهم نحو الخارج وامتصاص طاقاتهم في حروب خارجية يمكن ان تمتص نقمة الاهالي وتأتي ببعض الفوائد على البلاد .

لذا كانت كل هذه العوامل تشغل بال ولاة افريقية ، وخاصة زيادة الله بن الاغلب وكانت مناسبة استنجاد قائد الاسطول البيزنطي فيمي بزيادة الله فرصة سانحة لتحقيق هذه الرغبات التي كانت تعتمل في نفس هذا الوالي الاغلبي .

وصول فيمي الى القيروان .

يصر مؤرخو ذلك العصر ان وراء طلب فيمي العون من القيروان كان سببه امرأة . فكما زعموا انه عندما فتح موسى بن نصير وقائده طارق بن زياد الاندلس ان احد ولاة المغرب الاقصى من قبل القوط واسمه (يليان) قد استنجد بالقوى الاسلامية العربية لحيف لحق ابنته من قبل احد امراء القوط ، كذلك

١ــ كانت من اخطر الثورات هي التي قام بها منصور الطنبذي زمن زيادة الله حيث كاد الامر يفلت من يده . ثم ثورة نافع بن الازرق سنة ٢١٠هـ ــ وتدعلق زيادة الله على موت نافع بن الازرق بقوله (لقد وضعت الحرب اوزارها) : ابن عذاري جا ص ١٢٨ / المغرب الكبير ص ٤١٧ .

كذلك نسبوا مثل هذا الى فيمي .

لقد كان فيمي قائداً للاسطول البيزنطي في جزيرة صقلية ،وقد كلف بمهاجمة السواحل الاسلامية . اما السبب الذي دفع فيمي لطلب العون من زيادة الله فهو احد الآتي :

١ـ غضب بطريق صقلية " قسطنطين " على فيمي لاغتصابه راهبة دير حيث تزوجها بالقوة .

٢ـ اغتصب بطريق صقلية فتاة جميلة تدعى (هومونيزه) كان فيمي يريد الزواج منها ،وغضب فيمي على رئيسه .

٣ـ على ان السبب الثالث وهو السبب الحقيقي على ما اعتقد كان تقاعس فيمي عن غزو المراكز العربية حيث اثار حفيظة الامبراطور البيزنطي فارسل الى واليه على صقلية قسطنطين يطلب منه عزل فيمي عن قيادة الاسطول وهذا مادعى فيمي لان يتمرد على اوامر رئيسه ويعود باسطوله الى صقلية حيث تمكن من التغلب على بطريقها بمساعدة انصاره ،ووضع ابن عم له يدعى بلاطه واليا عليها ،ولكن بلاطة هذا انظم بعد فترة الى انصار الامبراطور البيزنطي وتمكن من دحر فيمي فهرب بسفنه الى القيروان يطلب معونة زيادة الله ،ويمنيه بتملك الجزيرة .

زيادة الله يعقد مجلس شورى ٠

وقد ضمّ مجلس الشورى الذي عقده زيادة الله وجوه اهل القيروان وفقهائها ،وفيهم اسد بن الفرات وابو محرز القاضيان ،وسحنون الفقيه ٠

ودارت المناقشات وكانت هناك الهدنة المعقودة مع الامبراطورية البيزنطية وكيفية التحلل منها ،ولم تبدر من البيزنطيين بعد اية بادرة تدل على نقض هذه المعاهدة ، هكذا كان رأي ابن سحنون عندما بدأ المناقشة ، فبالاضافة للعوامل السابقة كان هناك ايضا عامل آخر،وهو بعد المسافة التي تفصل القيروان عن صقلية ،وصقلية تحاذي بل تكاد تلامس حدود الامبراطورية البيزنطية ،فلا يفصلها عن ساحل ايطاليا سوى خليج (مسّينا) الضيق ، ولما سأل ابن سحنون عن المسافتين قيل له انها تبعد عن القيروان يوم وليله اذا كانت الريح جيده وبينها وبين بلاد الروم يذهب الانسان مرتين وثلاثة في النهار ويرجع قال: لو كنت طائرا ما طرت عليها ٠

هذا كان رأي الفريق المعتدل وعلى رأسه الفقيه ابن سحنون ،اما الفريق المتحمس وعلى رأسه اسد بن الفرات كان ينظر الى الامر نظرة دينية ،ويعدّون القيام به جهادا في سبيل الله واعزازا لدينه ٠

وبقي شئ واحد لم يكن له لولا الحماسة الدينية من حلّ الهدنة وكيف يستبيح الفقهاء ان يفتوا زيادة الله بنقضها ٠ وعند استعراض هذا الامر عاد التطرف وعاد الاعتدال واخذت الافكار تتصارع والآراء تتضارب ،وآثر ابو محرز التريث علّ الايام تأتي بجديد ٠ اما اسد فرأى ان يسأل رسل الصقليين ليعرف هل لديهم في صقلية اسرى من المسلمين٠

قال ابو حرز : [١] (كيف نقبل قول الرسل عليهم اودفعهم عنهم) فقال اسد : (بل الرسل هادناهم وبالرسل نجعلهم ناقضين قال الله تعالى: " فلاتهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون ".)

وتحلل زيادة من الهدنة عندما اخبره فيمي ان في الجزيرة بعض الاسرى المسلمين ،وعهد الى اسد بن الفرات بقيادة الاسطول ،واجتمعت الامارة والقضاء له ،ولم تجتمع من قبل لاحد مثله [٢] وخرج اسد الى ميناء سوسه وهنا تجمعت الحشود الاسلامية في قوات قوامها عشرة آلاف من الرجالة وسبعمائة من الفرسان [٣] واحتفل زيادة الله بذلك اليوم ،فامر بالا يبقى احد من وجوه البلد ورجال الحاشية الا شيعه ،فركب اسد في جمع عظيم بين صهيل الخيول وقرع الطبول وخفق البنود فقال: "لا اله الا الله وحده لاشريك له. ثم قال : يامعشر الناس [٤] ما ولي لي اب ولا جد ولاية قط ولا راى احد من قبلي مثل هذا قط وما رأيتم ما تروه الا بالاقلام فاجهدوا نفوسكم واتعبوا ابدانكم في طلب العلم وتدوينه وكاثروا عليه واصبروا على شدته فانكم تنالون به الدنيا والآخره ."

واقلع الاسطول من ميناء سوسه يوم السبت النصف من شهر ربيع الاول سنة ٢١٢هـ في نحو مائة مركب سوى مراكب فيمي [٥] ، واعاد التاريخ نفسه ،وهكذا نرى ان صقلية تُغزى للمرة الثانية من قبل العنصر الاول نفسه ومن الشمال الافريقي كما غزيت على ايدي الفينيقيين،وهكذا يحط اسد بن الفرات قدمه على نفس الارض والجهة التي نزلها الفينيقيون ايضا وها هي الجموع السامية

---

١ احسان عباس/ العرب في صقلية ص ٣٣ . ٢ـ السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي / تاريخ البحرية الاسلامية ص ١٠٥ . ٣ـ عبد العزيز سالم / المغرب الكبير ص ٣٨٧ . ٤ـ المكتبة العربية الصقلية/ رياض النفوس للمالكي .

٥ـ احسان عباس/ العرب في صقلية ص ٣٣ .

تقاتل كما قاتل من قبل ابناء عمومتهم تحمل دينا آخر وحضارة ثانية تريد بسطها على الجزيرة .

وصول الاسطول الاسلامي الى صقلية .

وصل الاسطول الى مدينة مازر (MAZARA) بعد ثلاثة ايام من ابحاره وأقام فيها ثلاثة ايام لم يشتبك خلالها باية قوات رومانية سوى سرية واحدة استطاع العرب اسرها فاذا هي من انصار فيمي ،لذا اشتم اسد ان امر فيمي قد بدأ يتغير نحو قومه فقرر الاستقلال بعملياته وطلب من فيمي الاعتزال وقال له ،" اجعلوا على رؤوسكم سيماء تعرفون بها لئلا يتوهم واحد منا انكم من هؤلاء المواقفين لنا فيصيبكم مكروه . "" فجعلوا على رؤوسهم الحشيش "(١)" وقد صدق حدس اسد فيما بعد حيث عاد فيمي يتفاوض مع قومه ويحثهم على الصمود في وجه المسلمين ،وقد اظهر له قومه القبول واتفقوا معه على ان يلقاهم في مكان معين ليدخلوه المدينة ، ولن نفسه انه سوف يتربع على عرش صقلية ولكن كما يذهب الخونة الى حتوفهم بايديهم ذهب فيمي الى المكان الذي اعده له قومه فنال جزاء خيانته

الصدام الاول .

تقدم الجيش الاسلامي لملاقات العدو فوصل الى سهل يدعى بلاطه ،واشتبك مع صاحب صقلية ،وكان الجيش قبل وصوله الى هذا المكان قد تمكن من فتح عدة قلاع منها قلعة البلوط وقلعة الدب ،وقلعة الطواويس ،وكان وكان يترك اسد بن الفرات في كل واحدة من هذه القلاع بعض الرجال لحمايتها وضبطها ففقد الجيش العربي نتيجة لهذه السياسة معونة هؤلاء الرجال الذين تخلفوا في هذه الاماكن .

وتقدم اسد بقواته رغم ذلك لملاقات جيوش الروم الرئيسية ،وكانت جيوش الروم تفوق بكثير الجيش الاسلامي ،فهم اكثر عددا وعددا ويقاتلون على ارض

ـــ ١ - المالكي / رياض النفوس ص ١٨٩

يعرفون كل شبير فيها ، وهم قد استدرجوا الجيش الاسلامي لملاقاتهم في في المكان الذي حددوه للمعركة . وخطب اسد في جنوده وحثهم على الاستبسال ، ووصلت القوات الاسلامية الى سهل بلاطة ارض المعركة الارض التي سميت باسم صاحب صقلية ، واقبل بلاطة في جيش يبلغ نحو من "١٥٠" الف مقاتل ، وخطب اسد في جنوده وهو يحمل اللواء ، وكبّر المسلمون ، وتمادت العزائم فحملوا على جيش بلاطة واباده وغنموا ما معه ، وانسحب بلاطة الى قصر يانّه ، ولكن الخوف من المسلمين غلبه ففر من صقلية الى قلوريه بجنوب ايطاليا فقتله جنوده هناك "٢" .

وهكذا نجد ان الجيش الاسلامي قد اوقع الرعب في نفوس الروم منذ المعركة الاولى ، وانتصر هذا الانتصار الباهر رغم قلة عدده وضخامة القوات البيزنطية .

وتقدم الجيش الاسلامي بعد هذا النصر الى سرقوسة وهي كما يقول ياقوت في معجمه : (اكبر مدينة بجزيرة صقلية ، وكان بها سرير الملك "٣") .

وكانت المدينة حصينة فأغلقت ابوابها في وجههم ، وعندما ضرب المسلمون الحصار حولها تقدم اليه بطارقة المدينة فسألوه ان يمنحهم الامان ، وفي نيتهم ان يخدعوه لكسب الوقت ، وبذلوا له الجزية ، وطلبوا منه ان يبقى في موضعه فوافقهم واقام ينظم قواته وينتظر قدوم الاسطول لتشديد الحصار ، وفي هذا الوقت تجمعت فلول الروم بقلعة الكراث ووضعوا فيها كل اموالهم واصلحوا حصونهم وتهيأوا لملاقات العدو ، وتقدم اسد فافتتح غيرانا كثيرة حول سرقوسة "٤" ثم حاصر سرقوسة نفسها ، وجاءت قوات بيزنطية من القسطنطينية لمساعدة الروم ، ولما زحف والي بالرمو

١ــ تاريخ البحرية الاسلامية ص ١٠٧ ٢: ٠ للنويري ص ٢٢٧ .
٣ــ المكتبة العربية الصقلية ص ٢٢٣ .
٤ــ ابن الاثير جا ص ٣٣٣ .

الذي تولى القيادة للجيوش البيزنطية ،ووجد المسلمون ان القوات البيزنطية كثيرة العدد لذا لجأوا الى الحيلة فخندقوا على انفسهم وحفروا حفرا كثيرة غطوها بالقش والتراب ،ولما حمل الروم عليهم كبت خيولهم وقتل المسلمون اعدادا كبيرة من الجيش البيزنطي .

في هذه الآونة حلّ بالمسلمين وباء شديد مات بسببه عدد كبير من الجيش ومن ضمنهم قائدهم اسد بن الفرات سنة ٢١٣هـ فدفنه المسلمون في الموضع الذي كان يحاصر منه المدينة"١" . في هذه الفترة الحرجة رجحت كفة البيزنطيين وتعاونت سفن القسطنطينية والبندقية ،وفقد الجيش الاسلامي الكثير من قوّاته وقوته ،ومع ذلك لم ييأسوا وولوا عليهم محمد بن ابي الجواري ،ولكن عند سماعهم نبأ الحشود البيزنطية الهائلة التي وصلت من القسطنطينية جعلتهم يعزمون على العودة الى افريقية ،فأصلحوا سفنهم وركبوها ،ولكن البيزنطيين والبنادقة تصدت لهم ومنعتهم من الخروج"٢" . ولما رأى المسلمون استحالة كسر هذا الطوق تراجعوا بسفنهم الى المرسى واحرقوها ثم وطنوا انفسهم على القتال حتى الموت . فساروا الى مدينة (ميناو) ففتحوها بعد ثلاثة ايام من الحصار ثم فتحوا حصن (جرجنت) . وقوّى هذان الفتحان من عزائمهم فأشرقت نفوسهم بالآمال وبفد مشرق . في تلك الآونة ارسلت القسطنطينية مددا جديدا الى الجزيرة بقيادة بطريق يدعى (تو د ط)"٣" .

١ـ المرجع السابق . ٢ـ ابن الاثير / المكتبة العربية الصقلية ص ٢٢٣

٣ـ تاريخ البحرية الاسلامية ص ١١٠ .

في جمع غفير من الروم والارمن وغيرهم ،وكانت الفتن في افريقية قد قصرت يد زيادة الله عن ارسال المدد الى جيشه بصقلية ،ولكن رغم قلة عدد الجيش الاسلامي الموجود بالجزيرة استطاع التغلب على تودط حيث اتبعوا الخطة السابقة وهي حفر حفر كثيرة وتغطيتها بالتراب والاغصان الصغيرة بعد ان خندقوا حول انفسهم ،ولما كبت خيولهم قتل المسلمون اعدادا كبيرة منهم كما استطاعوا اسر نحو من سبعين بطريقا ،وفر تودط الى داخل مدينة قصريانة .

وشد النصر من عزيمة المسلمين وبقوا يحاصرون مدينة قصريانة حتى توفي قائدهم ابن ابي الجواري اواخر سنة ٢١٣هـ "١" فولوا عليهم زهير بن برغوث ،وقيل زهير بن غوث ،ودار بينهم وبين الروم معارك عديدة فقد فيها عدد من الجيش الاسلامي مما زاد في احراج موقفهم ،وازاء هذا الوضع عزموا على الانسلال من مكنهم ولكن الروم الذين كانوا يتتبعون حركاتهم ويحصون عليهم انفاسهم علموا بخطتهم فدبروا لهم تدبيرا ،وذلك بان اخلوا خيامهم وكمنوا بجانبها ،ولما تقدم المسلمون لم يجدوا احدا وظنوا ان الروم قد غادروا مكانهم ولم يشعروا الا وقد خرج الروم عليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفر الباقون من القوات الاسلامية الى ميناو .

ولكن البيزنطيين تمكنوا من محاصرتهم هناك وضاق الامر على المسلمين وقلت اقواتهم ،وانقطعت عنهم المؤن حتى اكلوا لحوم الدواب والكلاب ،وقد اشرفوا على الهلاك "٢" .

١ـ المرجع السابق : النويري ص ٢٢٨ .

٢ـ تاريخ البحرية الاسلامية ص ١١ .

وصـــول البحارة الاندلسيين الى صقلية ومشاركتهم في فتحها .

عندما كان المســلمون المحاصرون في ميناو ينتظرون مصيرا قاتما لايعرفون ما سيجد عليهم ،فالاقوات صارت على وشك النفاذ ،وكثر المرضى بين صفوفهم والبيزنطيون يحاصرونهم من جميع النواحي ،في هذه الآونة الحرجة حدث امر لم يكن له في تفكير هؤلاء المحاصرين حساب ،ذلك ان جماعة من مسلمي الاندلس خرجوا بقصد الغزو وكان يقودهم (اصبغ ابن وكيل الهواري) المعروف باسم " فرغلوش "[1] ولحسن حظ هؤلاء المحاصرين هبت ريح عاصفة فجنحت السفن دون قصد الى ساحل صقلية ،فارسوا هناك ريثما تنتهي العاصفة البحرية ،ولا علم لهم بشئ داخل الجزيرة ، ولما علم المحاصرون بامرهم ارسلوا الى اخوانهم الاندلسيين يستنجدونهم ،ودارت المفاوضات بينهم فطلب الاندلسيون ان تكون قيادة الجيش بيد زعيمهم فرغلوش ووافق المحاصرون على هذه الشروط ،فتقدم فرغلوش الى ميناو واستولى في طريقه على عدة قلاع وحصون ،وتقابل فرغلوش سنة ٢١٥هـ مع جيش الروم الذي كان بقيادة تودط فانهزم البيزنطيون هزيمة نكراء ،وتراجع الجيش البيزنطي الى مدينة قصر يانه ،وتنفس المحاصرون الصعداء ،وبعد ان تمالكوا انفسهم زحفوا جميعهم الى مدينة بالرمو فصالحهم صاحبها على الامان ،وتقدموا نحو " غليانة " وتغلبوا على ربضها ،ولكن اثناء ذلك تفشى في جيش المسلمين وباء قضى على عدد كبير من الجنود وفيهم فرغلوش ،وتقوى البيزنطيون عليهم فهاجموهم حينما كانوا خارجين ،وفيهم عدد كبير من المرضى والضعفاء ولكن رغم ذلك استطاع المسلمون التغلب عليهم .

---

١ ــ ابن عذاري / ج ١ ص ١٣٤ .

~~٢ ــ المصدر السابق ص ١٣٥~~ .

وتمكنوا من الاحاطة بتوبط وقتلوه وغنموا منهم غنائم كثيرة .

لكن لأسباب غامضة حدث خلاف بين الاندلسيين والافريقيين في صقلية وهدد الاندلسيون بترك الجزيرة واخذوا يعدون سفنهم للسفر . ثم تداعى الفريقان الى الصلح وولوا عليهم قائدا جديدا هو (عثمان بن قرهب)"١". وحدثت بعد ذلك عدة معارك انتصر فيها المسلمون ، ويؤكد ابن عذاري ان الاندلسيين قد قفلوا عائدين الى الاندلس سنة ٢١٥هـ "٢" . ولاشك ان مساعدة [redacted] الاندلسيين لاخوتهم قد انقذتهم من مصير مظلم وجعلتهم يثبتون اقدامهم بقوة فوق ارض الجزيرة ، ولولاهم لما نجحوا في البقاء هناك ، وكان لهم الفضل الاعظم في الانتصارات الكبيرة التي حققها الجيش العربي على جيوش الامبراطورية البيزنطية وحلفائهم .

بعد الاندلسيين

تولى قيادة القوات العربية الاسلامية بعد خروج الاندلسيين من الجزيرة / ابو فهر محمد بن عبدالله بن الاغلب التميمي سنة ٢١٧هـ ، واتخذ من مدينة بلرمو مقرا له لسهولة اتصالها البحري بافريقيا من ناحية ، ولامكانية مهاجمة القواعد البيزنطية الموجودة على سواحل كلابرية المقابل للساحل الصقلي من ناحية ثانية "٣".

ومن بلرمو اخذت الجيوش الاسلامية تسيح في اتجاهات متعددة نحو استكمال فتح الجزيرة حين وصلتها الامدادات من افريقيا - بعد ان قضى زيادة الله على الثورات التي قامت ضده في تلك البلاد .

ففي سنة ٢١٩هـ الى ٢٢٠ هـ سيّر ابو فهر جيشا الى قصر يانة ثم جيشا آخر الى (طبرمين) الواقعة في شرق الجزيرة وغنم غنائم كثيرة ، ولكن فئة من الجيش

١ـ ابن عذاري / البيان المغرب : جـ ١ ص ١٣٤ .
٢ـ المرجع السابق جـ ١ ص ١٣٥ .
٣ـ فيليب حتي / تاريخ العرب مطول ص ٧١٤ .

تمردت على القائد محمد بن سالم وقتلوه فولى زيادة الله مكانه/ الفضل بن يعقوب واحرز المسلمون تحت قيادته انتصارات رائعة ،وتدلنا هذه الحادثة على ان والي افريقية هو الذي كان يولي قائد جيش الجزيرة وليس واليها .

وسنة ٢٢٠هـ ولّى زيادة الله على ولاية صقلية اخاه ابا الاغلب ابراهيم "١" بعد ان استدعى ابا فهر بحجة مساعدته له في قمع ثورة قامت عليه في المغرب. وقد افتتح ابو الاغلب عهده بالجزيرة بعدة انتصارات حققها على البيزنطيين "٢" وسنة ٢٢١هـ سير سرية الى مدينة (مسيني) فغنم منها غنائم كثيرة وظل ابو الاغلب يبعث بسراياه الى انحاء الجزيرة فتغنم ،وقد تمكن من فتح العديد من القلاع والحصون ،وبينما كان المسلمون يحاصرون (جلفودي) وصلتهم اخبار بوصول اسطول من البيزنطيين لمهاجمة الجزيرة فرفعوا الحصار واشتبكوا معهم في عدة معارك كان النصر في اكثرها حليف المسلمين ،وفي تلك الاثناء وصل خبر وفاة الامير الاغلبي زيادة الله في ١٤رجب سنة ٢٢٣هـ ،فدب الوهن في النفوس وكاد المسلمون يفقدون السيطرة على اعصابهم لولا ان تمالكوا انفسهم واستبسلوا في قتال الروم حتى تم لهم النصر .

تولية ابراهيم بن الاغلب.

كان زيادة الله بن الاغلب قد اوصى بالامارة الى ابنه الصغير ،ولكن نظرا لصغر سنه عاد ابراهيم من صقلية وتولى الوصاية على هذا الطفل "٣" . وقد تابع المسلمون في عهده فتوحاتهم في الجزيرة ،فاستولوا سنة ٢٢٥هـ على عدد

---

١ ــ تاريخ البحرية الاسلامية ص ١١٥ . ٢ ــ ابن الاثير / الكامل جـ ٦ ص ٣٣٨ .

٣ ــ مارتينو ماريو / المسلمون في صقلية ص ١١ .

كبير من حصونها ،من بينها حصن / البلوط/ • وسنة ٢٢٨هـ سار الفضل بن جنر الهمداني في البحر فنزل مرسى مسيني "١" واستأمن اهل نابل الذين انظموا اليه ،واخذ في حصار مدينة / مسيني / ولم يستطع الاستيلاء عليها الابعد ان ارسل فئة من جنوده التفت حولها واستطاعوا النزول اليها من احد الاماكن بينما كان الجيش البيزنطي مشغولا بقتال الجيش الرئيسي للمسلمين ولما وجد البيزنطيون ان المدينة قد سقطت وهنت عزائمهم وولوا الادبار منهزمين • وسنة ٢٢٩هـ خرج ابو الاغلب العباس بن فضل في سرية فبلغ مدينة شرّه (سره) فقاتله اهلها قتالا شديدا فانهزم الروم وقتل منهم نحو عشرة آلاف واستشهد من المسلمين بضع افراد قلائل • وسنة ٢٣٢هـ حصر الفضل بن جعفر مدينة (لنتيني) واستطاع فتحها بعد ان اكتشف خطط العدو للاستنجاد بالجيش البيزنطي •

وبعد ان توفي والى صقلية ابراهيم بن عبدالله اجتمع رأي المسلمين على تولية العباس بن الفضل ابن يعقوب في رجب سنة ٢٣٦هـ "٢" ،وكتبوا بذلك الى الامير الاغلبي في القيروان فاقرهم • وكانت ولاية العباس تعتبر فاتحة عهد جديد في تاريخ الجزيرة ، فقد كان قبل توليه الامارة بالجزيرة يبعث السرايا وتأتيه الغنائم ، فلما قدم العهد بولايته خرج بنفسه ففتح عدة قلاع منها قلعة ابي ثور ،ثم توجه الى مدينة / قصر يانّه/ فدمر بعض المباني المحيطة بها خارج الاسوار واتلف بعض المزروعات بقصد ان يدفع بطريق المدينة الى الخروج لملاقاته ،لكن البطريق جبن عن الخروج وبقي ملتجئ داخل الاسوار •

فتح قصر يانّه •

---

١ _ ابن الاثير / الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٥
٢ _ المرجع السابق

فتح قصريانة ·

كانت محاولات العباس لفتح مدينة قصريانة لم تزل مستمرة حتى سنة ٢٤٤هـ وقدتعرضت المدينة للكثير من المحاولات بقصد فتحها خلال ولايته ،وكان تصميمه على فتحها يعود للاسباب التالية ·

١ ـ كانت المدينة قد اصبحت مقرا لدار حاكم الجزيرة البيزنطي بعد ان نقل اليها دار الحكم من مدينة سرقوسه على اثر دخول المسلمين الجزيرة ·

٢ ـ كانت المدينة على جانب كبير من المنعة ،فحصونها متينة وموقعها صعب المنال ·

٣ ـ قدرة المدينة على امداد المحاصرين بلوازم الحصار وقد شحنها حاكم المدينة بالسلاح والجنود والارزاق · اخذ المسلمون يغيرون على اطراف المدينة ويتلفون المزروعات بقصد انهاك قدرتها الاقتصادية ودفع بطريقها للخروج ،لكن المدينة بقية صامدة فترة طويلة وبقي البطريق محاصرا داخلها يعتمد على ما جمعه من مؤن واقوات كثيرة · وبقيت المدينة على هذا الوضع الى ان تمكن المسلمون في احدى الغزوات من اسر رجل كان له عند البيزنطيين منزلة "١" ،فلما هم العباس بقتله طلب الرجل ان يستبقيه على ان يسهل له فتح المدينة فهو يعرف مداخلها السرّية ،والوقت شتاء والثلوج تغطي المدينة ،واهلها في غفلة عن المسلمين ،لذا انتخب العباس الفي فارس انجاد ،واقتادوا الرجل مخفورا ،واستطاع المسلمون دخول المدينة بعد ان دلهم

---

١ ـ السيد احمد بن زيني دحلان / الفتوحات الاسلامية ٩ ٢٨٦ ·

الرجل على احدى المداخل السرية للمدينة ،ثم فتحوا ابوابها للجيش العربي فدخلها العباس وبنى فيها مسجدا ،وفرت حاميتها البيزنطية تاركين المدينة تلاقي مصيرها بنفسها .

عند وصول خبر سقوط المدينة الى القسطنطينية ارسل الامبراطور البيزنطي اسطولا مكون من ٣٠٠ مئة (شلندي)"١" بقيادة البطريق /قنسطنطين كندوميتس/ فقاتلهم العباس وتمكن بفضل الجهود الرائعة التي بذلها الجنود وبفضل القيادة الحكيمة للعباس من ان ينتصر عليهم ويهزمهم .

سنة ٢٤٧هـ سار العباس الى مدينة سرقوسه ففتح غيرانا كثيرة وهو في طريقه اليها ،وضرب حولها الحصار لكنه اعتل ذلك اليوم ثم توفي بعد ثلاثة أيام من بدء الحصار فدفنه المسلمون قرب المدينة في المكان الذي كان يحاصر فيه ،وبعد عودتهم خرج الروم ونبشوا قبره ثم حرقوا جثته ،وكانت ولاية العباس احدى عشرة سنة ،وداوم الجهاد صيفا وشتاء . غزا بالاضافة الى صقلية ارض قلوريا وانكبرده في الساحل الايطالي واسكنها المسلمين .

تولى على صقلية بعد العباس ابنه عبدالله ريثما ارسل الامير الاغلبي من افريقيا خفاجة بن سفيان (ت ٢٥٥هـ) ،وقد وصل خفاجة صقلية جمادي الاولى سنة ٢٤٨هـ ،وكانت اول سرية اخرجها الى مدينة سرقوسه ،وعهد بقيادة الجيش الى ولده محمود فغنم غنائم كثيرة لكنه لم يستطع فتحها .

وسنة ٢٥٠هـ فتحت مدينة (نوطس) بخيانة احد اهلها ،وسنة ٢٥٥هـ سير سرية الى مدينة طبرمين ،وكاد ان يتم فتحها لولا تقاعس ولده محمد عن دخولها .

---

١ ــ الشلندي : سفن حربية لنقل الجنود .

وطيرمين حصن منيع بينه وبين مسيني مرحلة ،وهو على جبل مطل على البحر وله مرسى حسن"١" .

وفي ربيع الاول من نفس السنة قصد خفاجه مدينة سرقوسه فحصرها وضيق على اهلها ،ثم انتقل الى مدينة بلرمو ونزل بوادي الطين ،وسار ليلا الى المدينة لكنه اغتيل من قبل رجل من عسكره .

سنة ٢٨٦هـ "٢" تولى حكم صقلية ابو العباس عبدالله بن ابراهيم ابن احمد الاغلب ،وسنة ٢٨٨هـ اعد اسطوله للغزو فنزل على / دمنش / ونصب عليها آلـ المجانيق وقام على حصارها اياما ثم مضى الى مسيني وجاز في سفنه الى ريو حيث كان قد تجمع فيها عدد كبير من البيزنطيين فقاتلهم على بابها وانتصر عليهم .

وكان العباس اديبا لبيبا شجاعا شاعرا محبا للعدل ،ومما يدل عليه انه حينما ولي امارة افريقية ،كتب كتابا وامر ان يقرأ على العامة يعدهم فيه بالاحسان والعدل والرفق والجهاد ،ففعل بما وعد به ،وعندما سمع ان ابنه الذي ولاه صقلية يشرب الخمر ارسل اليه وعزله ثم وضعه في السجن .

ومن شعره قوله وقد شرب دواء :

شربت الدواء على غربة   بعيدا عن الاهل والمنزل
وكنت اذا ما شربت الدوا   أطيب بالمسك والمندل
وقد صار شربي بجار الدما   ونقع العجاجة والقسطل

وقد قتل العباس بدسيسة من ولده ابي مضر الذي كان قد عزله عن صقلية وعندما جاء الذين قتلوا ابيه برأسه الى ابنه قتلهم كي يخفي جريمته ،ثم كتم خبر موت والده حتى تولى الحكم ،وامر بنفي اعمامه الى جزيرة الكراث حيث قتلهم هناك .

١ ــ الادريسي/ نزهة المشتاق في المكتبة ص ٧٢ ج ٢ .
٢ ــ ابن الاثير/ الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٥٠٥ .

وفي ٢٧ ربيع الاول سنة ٢٨٩هـ قدم الامير الاغلبي ابراهيم بن احمد الى صقلية بقصد الجهاد ،ويصف الدكتور مارتينيو ماريو في كتابه المسلمون في صقلية ابراهيم بن الاغلب بقوله :(غصب الملك من ابن اخيه الصغير الذي كان وصيا عليه مستفيدا من صغر سنه ،وكان ابراهيم مولعا بالقتل والتعذيب واستخراج القلوب من الصدور والنظر الى خفقاتها .)

وكان سبب قدوم ابراهيم الى صقلية قصد الجهاد وهو في طريقه الى الحج حيثه قد نذر نفسه في سبيل الله بعد ان تنازل عن حكم افريقية . وقد استطاع ابراهيم فتح مدينة طبرمين وميقش ورمطه ،وتمكن ايضا من فتح مدينة سيراكوزه بعد ان حاصرها نحو من تسعة اشهر ،ثم امر الجيش المتجمع في مسيني بغية العبور الى قلورية ،وهاجم كسنته الواقعة بالقرب من خليج طارنت ونصب عليها المجانيق، ولكنه توفي وهو يقوم على حصارها ذي القعدة سنة ٢٨٩هـ . وكان لهذه الفتوحات التي قام بها هذا الامير اعظم الاثر في تخليص الجزيرة من آخر ما بقي فيها من المراكز الرومانية ،ومن غير المستبعد ان تكون هذه الاعمال التي قام بها ابراهيم قد دفعت الاستاذ مارتينيو لان يصفه بالقاتل السفاح المولع بشرب الدماء .

في نهاية حكم الاغالبه تم فتح جزيرة صقلية جميعها تقريبا ،وكان لهذه الاسرة فضل دخول الجزيرة بوتقة العالم الاسلامي ،ولكن لم تتضح بصورة كبيرة في عهد اسرة الاغالبة وحكمهم بالجزيرة بوادر نهضة ثقافية وعمرانية شاملة وقوية، ويعود ذلك الى ان الفتح استمر طيلة حكم هذه الاسرة ،وكانت المقاومة عنيفة بحيث لم تترك فسحة كافية من الوقت لقيام مثل تلك النهضة هذا بالاضافة الى ان

الاباطرة البيزنطيون كانوا لايكفون ابدا عن ارسال الحملات العديدة ،كما كانت مقاومة الاهالي المسيحيين للتخلص من الحكم الاسلامي عنيفة وقاسية ،وقد استمرت هذه الحروب مايقارب من ١٣٨ سنة .

نهاية الاغالبه وقيام الخلافة الفاطمية .

ان العوامل الخفيّة التي بدأت تطل برأسها اواخر حكم الاسرة الاغلبية في في القيروان كان لها السبب الاعظم بالتعجيل في نهاية هذه الاسرة وقيام الخلافة الفاطمية مكانها . لقد ارتكب البعض من امراء هذه الاسرة اخطاء فادحة بحيث اتسع هذا الخرق اتساعا لم يمكنهم رفوه . فقد دأب هؤلاء الامراء برجال الجيش ورجال الدولة قتلا وتشريدا ،كما ان البعض لم يتورع عن قتل اقرب الناس اليه كما فعل ابي مضر زيادة الله الثاني حينما اغتال والده وشتت اعمامه .

ويحدثنا ابن عذاري في بيانه المغرب ص ١٦٣ كيف غدر ابراهيم الثاني بن الاغلب برجال العرب وقوادهم ،يقول : (سنة ٢٨٠هـ حارب ابراهيم بن الاغلب رجال العرب ثم امنّهم واستقدم منهم الى مدينة رقادة نحو من سبعمائة رجل من ابطالهم ووسع عليهم ،وبنى لهم دارا كبيرة تشتمل على دور ترجع الى باب واحد واسكنهم فيها ،فلما سكنوا واطمأنوا جمع ثقات رجاله فأخذوا ارزاقهم وامر بقتلهم فقتلوا .)

وكان هؤلاء الرجال هم سند الدولة وحماتها اتجاه قبائل كتامة الواقفة بالمرصاد انتظارا للفرصة السانحة . فلما قتل ابراهيم هؤلاء الرجال استطالت كتامة ووجدت الفرصة سانحة للقيام بثورة كاسحة مع ابي عبيدالله الشيعي ، وفي هذه السنة ايضا ثار الجند على ابراهيم الثاني ابن احمد حيث اخذ عبيدهم وخيلهم وجار عليهم .

وكان كلما احدق الخطر بزيادة الله نتيجة لانتصارات ابي عبدالله الشيعي المتوالية ولعدم وجود الرجال الاكفاء حيثه قدقضى على خيرة رجال الدولة بسياسته الخرقاء ،اخذ يحاول تسلية نفسه بشرب الخمر وسماع غناء الجواري والقيان وكان كلما اظهر الهمّ وبدت عليه علائم الحزن اخذت الجواري بالغناء له ،وقدغنت له جاريته يوما .

اصبر لدهر نال منـ ـك فهكذا مضت الدهور

فرح وحزن مرة ، لا الحزن دام ولا السرور "١"

لم يستطع الاحول اخ ابو العباس بن ابراهيم الاغلبي من القضاء على ثورة ابي عبدالله الشيعي رغم عنف المعركة التي دارت بين الرجلين وانصارهما . واذ كان الاحول قدتمكن من دحر ابا عبدالله في احدى المواقع واجبره على التراجع الى الجبال ،لكن الشيعي استطاع التوقي بانصاره من قبائل كتامة البرابرة ،وبقي ينتظر حتى سنحت له الفرصة باضطراب الحكم تحت اقدام الاغالبه على اثر مقتل ابي العباس على يد ولده . وتقدم ابو عبد الله فهاجم الجيش الاغلبي وانتصر عليه ،ثم تمكن من فتح القيروان والاستيلاء على مقاليد الحكم ،وتم تسليمها الى اول خليفة فاطمي وهو ابو عبيد الله المهدي ،ولم يكد اهالي صقلية يعلمون بانتقال امور الحكم في افريقيا الى يد الفواطم حتى هبوا بواليهم السني الحسن بن رباح وولوا عليهم سنة ٢٩٦هـ عليا بن ابي الفوارس "٢" وارسلوا بذلك الى ابي عبيد الله المهدي فاقره ،لكنه حتّم على هذا الوالي ان يتم مابدأه من الغزو والفتح.

١ ـ ابن عذاري / البيان المغرب ص ١٩٤ .
٢ ـ حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ص ٩٧ .

لكن سياسة المهدي القائمة على الاعتماد الكلي على قبائل كتامة انصار المذهب الفاطمي والذين قامت الدولة على اكتافهم حتمت عليه عزل ابا الفوارس عن صقلية وتولية الحسن بن ابي الخنزير الكتامي.

وقبل الاهالي حكم الحسن بن ابي خنزير، ولم يبدوا امتعاضهم منه الا بعد ان ارتكب العديد من الهفوات التي اثارت عليه نقمة الاهالي، هذا بالاضافة الى انهم كانوا يعتبرون انفسهم ارفع قدرا منه، فهم عرب وعريقون بالاسلام وهو بربري حديث الاسلام، كما عز عليهم ان يخطب على منابرهم للخليفة الفاطمي، وان تنظم الدعوة للمذهب الشيعي، وكان تصرف ابن ابي الخنزير بعيد عن الاناة والحكمة، فسام الناس العذاب، وبقوا صابرين على تصرفاته الجائرة هذه الى ان آنسوا به ضعفا فثاروا عليه واطاحوا به وولوا عليهم رجلا من الجزيرة هو احمد بن قرهب.

احمد بن قرهب.

ينتمي احمد بن قرهب الى احدى القبائل العربية التي جاءت الى صقلية على اثر استيلاء العرب عليها زمن الاغالبه، فدخل مع الجيش العربي وكوّن لنفسه مركزا مرموقا. ومن الطريف انه كان كارها تولي الجزيرة، فعندما طلب منه الاهالي تقليد الامور توارى عن انظارهم واختبأ في غار.[١] وكان سبب تصرفه هذا هو مقته لحكم الجزيرة بسبب معرفته بتقلب ولاء الاهالي وخشيته من ان يخذلوه، ولكن تعهد وجوه البلد ورؤسائها له بعدم خذلانه فيما لو حدثه امير من قبل الخلافة الفاطمية جعله يقبل. ومع الاسف ان ابن قرهب لم يكن يملك بعد النظر ولا يتمتع بحنكة سياسية جيدة، فقد كان يدري طبيعة الصقليين ويفهمها فهما تاما

---

١ ـــ ابن الاثير ج ٨ ص ٤٩.

ويعرف سرعة تقلبهم وعدم اكتراثهم للحفاظ على العهود التي قطعوها ،ويعرف انه من السهل ان يتم التفاهم سريعا بين الجيش والاهالي على الاطاحة بالوالي وكان يعرف كل هذا ولكنه ناقض نفسه ودفع بها الى قرار سحيق ونهاية مؤلمة . واول مافعله من خطأ بعد ان تقلد الامر في الجزيرة تغيير العاصمة ،فقد ارسل ابنه الى طبرمين "١" ففتحها وحصنها واتخذ منها عاصمة جديدة له ظانا انه يستطيع ان يتخذ منها مأوى وحماية له ولابنائه ،وقد غاب عن ظنه ان طبرمين تقع في منطقة مسيحية معادية للحكم الاسلامي ،وانها لاتصلح كمينا ء فيما لو اراد ان يركب البحر ،كما ان الجند قد ثاروا بابنه عندما ذهب لحصار هذه المدينة فاحرقوا خيمته وكادوا يفتكون به ،ولم يكتف ابن قرهب انه اغتصب حكم الجزيرة دون امر الخليفة الفاطمي بل نزع ولاءه له واعلن استقلاله بالجزيرة تحت حكم الخلافة العباسية ،وارسل له الخليفة العباسي المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ) "٢" من بغداد بالوية سود وخلع سود وطوقا من الذهب ،ولما وصلت اليه سر بذلك وبدأ بمقاومة الفاطميين . فاحرق الاسطول الفاطمي المتواجد بمرسى /لمطه/ .

وازاء هذا ~~الامر~~ الوضع ارسل عبيد الله المهدي جيشا له ينقذ الاسطول لكن ابن قرهب ظفر بهذا الجيش وغنم مامعه ،ثم تجرأ وارسل اسطولا الى افريقية لغزو المهدي في عقر داره ،لكن الإسطول الفاطمي انقض عليه واخذ مراكبه .

بعد ان شعر الصقليون ان ابن قرهب يسير بهم نحو الهاوية وافاقوا من سحره ووجدوا انهم اصبحوا على شفى منحدر سحيق ثاروا به وارسلوه الى القيروان

---

١ ـ أحسان عباس/ العرب في صقلية ص ٤٠ .

٢ ـ حسن ابراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية .

حيث قتله المهدي فوق قبر بن ابي الخنزير الذي كان ابن قرهب قد قتله حينما ثار بالجزيرة . وطمع اهالي صقلية بالاستقلال بعد ان ذاقوا طعمه ولو لفترة وجيزة ،فارادوا ان تكون الحكومة بايديهم خاصة وانهم اصبحوا اصحاب فضل على الخلافة الفاطمية حين قبضوا على ابن قرهب واعادوا الامر للخلافة الشيعية بالقيروان ،فارسلوا للخليفة يطلبون منه واليا وقاضيا ويظهرون عدم احتياجهم لرجال او مدد"[1] ، ويشترطون شروطا خاصة توحي بتطلعهم للانفصال التام بشئون الجزيرة .

ولكن الامور علّمت المهدي انه اذا لم يكن مع الوالي جيش قوي يدفع خطر الثائرين ويمسك باعنّة الامور بقوة فأن الجزيرة سوف لا تنعم بالاستقرار ، وسيظهر رجل آخر على شاكلة ابن قرهب ، وعزم على تأديب الثائرين واظهار قوة الخلافة الفاطمية فارسل لهم جيشا من الكتاميين انصاره الخلّص ، وعندما وصل هذا الجيش الى بلرمو امتنع الاهالي داخل الاسوار فحاصرها القائد الفاطمي وقتل جماعة من اهلها فاضطر المحصورون ازاء هذا الوضع الى القبض على المحرضين وارسلوهم للقائد الفاطمي فقتلهم وضرب على الاهالي مغرما بعد ان عبث الجنود بالنساء، ولما علم المهدي بما فعله هذا القائد ارسل اليه فعزله وولى مكانه / سالم بن ابي راشد /،ولكن سالم كان مثال الوالي الظالم العسوف فعهد بحكم البلاد الى ولاة على شاكلته ،وحاق بالاهالي ظلم شديد فثارت /جرجنت/واقتدت بها /بلرمو/ ، ولما رأى سالم ان الامر قد بات يهدد بالانفجار ارسل يستنجد بالخليفة

---

١ ــ حسن ابراهيم حسن /تاريخ الدولة الفاطمية .

٢ ــ احسان عباس/ العرب في صقلية ص٤٢ .

المهدي فامده بجيش على رأسه خليل بن اسحق . ولما وصل خليل ظن الناس انه جاء ليخلصهم مما حاق بهم من الجور والظلم والعسف، فاستقبلوه بالشكوى ،وخرج الناس اليه من رجال واطفال ونساء يبكون ويشكون ظلم سالم واعوانه ،ووعدهم خليل بالنظر في امرهم ،ولكن سرعان ما كذبتهم الظنون فان سالما خلابهم وافهمهم ان خليل جاء لينتقم منهم وان هذا الجيش الجرار ما جاء الا ليقتص منهم ويخضعهم ويستولي على ممتلكاتهم ،وقد تحققوا مما ذهب اليه سالم عندما شرع خليل بهدم سور بلرمو واخذ يقيم التحصينات على مدخل المرسى وبنى مدينة حصينة هناك دعاها الخالصة ،وارهق الناس في اعمال البناء .

ونتيجة لما قام به خليل من اعمال خشي اهل جرجنت فقاموا بتحصين مدينتهم واستعدّوا للحرب فسار اليهم سنة ٣٢٦هـ وحاصرهم نحو ثمانية اشهر ، وعند حلول الشتاء عاد الى الخالصة "١" وسعى اهل جرجنت فألبوا عليه المدن الاخرى ، وفي السنة التالية ثارت جميع القلاع واستنجدت بعض المدن بالقسطنطينية، وعندما وجد خليل ان الامر يكاد يفلت من يده وان الجزيرة على وشك الثورة العارمة ارسل يستنجد بالقائم "٢" الذي تولى الخلافة بعد وفاة المهدي ،فامده بجيش كبير ،وخرج خليل بهذا الجيش وبما انظم اليه من اهل الجزيرة فحصروا قلعة ابي ثور ثم قلعة البلوط ،وسنة ٣٢٨هـ حصر خليل جرجنت وطال الحصار لسنة ٣٢٩هـ فطلب اهلها فك الحصار لقاء اخلاء المدينة فقبل خليل الیهم

---

١ ـــ المرجع السابق .

٢ـــ ابن الاثير: الكامل في التاريخ ص ٣٢٧/ ج ٨ .

فذهب قسم كبير من اهلها الى بلاد الروم وتنصر اكثرهم،وطلب الباقي الامان فامنهم خليل ثم غدر بهم ،ولما رأت سائر القلاع ما حل باهل جرجنت اذعنوا للأمر الواقع واستسلموا جميعا ،وعندما رأى خليل ان الامور قد استتبت وعادت الحالة الى سابق عهدها رحل الى افريقية وأخذ معه وجوه اهل صقلية ولما صاروا في عرض البحر امر خليل بخرق سفنهم فغرقوا جميعهم . "١" "٢"

---

١ ــ المصدر السابق .

٢ــ ذكر ابن عذاري / المكتبة العربية الصقلية ص ٢٦٨ ، انه ذات يوم كان جالسا في احد المجالس وحوله جماعة من وجوه الناس ، واخذ الحديث بينهم يتطرق الى امور شتى فلما بلغ ذكر صقلية قال خليل متفاخرا :

" اني قتلت الف الف يقول المكثر ، والمقلل يقول : مائة الف في تلك السفرة ؛

ثم قال : " لا والله الا اكثر " .

فردّ عليه واحد من الجماعة بقوله : " يا ابا العباس لك في قتل نفس واحدة ما يكفيك " .

صــــقلية تحت حكم الامراء الكلبيين .

ان اول ما يلفت النظر الى الاسـرة الكلبية هو محاولتها الدائمة الاسـتئثار بحكم الجزيرة الداخلي مع الاعتراف بالسلطة الروحية للحكم الفاطمي وترك السـياسـة الخارجية للخلفاء بالقيروان ايضا .

فبعد ان تولى الحسـن بن علي الكلبي حكم الجزيرة سـنة ٣٣٦هـ بأمر من الخليفة المنصور بدأ يعمل على تطبيق الحكم اللا مركزي للجزيرة ،وكان كلما اشـتم من الخليفة بادرة تدل على محاولة تشـديد الامر على هذا الوالي يأخذ بتذكير الخليفة بفضائل هذه الاسـرة وقدرتها على صيانة الامور بالجزيرة ، وكان اذا ما شعر ان الخليفة لا يستجيب لارادتة يأخذ بالتلويح له بامكانيته نزع ولاءه للخلافة الفاطمية والانظمام الى اعداء الفاطميين فيما لو حاول جديا ازاحتهم عن مراكزهم هناك .

فالخلافة الاموية بالاندلس تترقب الفرص للايقاع بالفاطميين كما ان العباسيين في بغداد يعملون بكل قواهم لدفع الخطر الفاطمي والقضاء عليه بشتى السبل ، والبيزنطيون في القسـطنطينية لازالوا يرسـلون الحملات المتواصلة بقصد قضّ مضجع الخلافة الفاطمية الناشـئة وتخليص صقلية من ايديهم ، تلك الجزيرة التي جعلت البيزنطيين يعضون ايديهم اسـفا على ضياعها .

وكان الكلبيون كثيرا مايظهرون اخلاصهم ووفائهم للفاطميين، وينفّذون كلما يطلب منهم بصدق وامانة .

وقد حاول المعز لدين الله ان يزحزح هذه الاسـرة عن حكم الجزيرة لكن خطته باءت بالفشل فاعادها الى مكانتها السابقة وهو على يقين من أن صقلية لايمكن ان تبقى في بوتقة الخلافة الفاطمية الا تحت حكم الاسرة الكلبية ، ووجد انه لا مندوحة من اعادتها الى حكامها السابقين .

وقد طال الزمن الذي حكمت فيه هذه الاسـرة جزيرة صقلية ،ونعمت بالامن والطمأنينة ، ولم ينتهي حكم هذة الاسـرة الابعد ان ركن البعض من امرائها الى حياة المجون ،وسار البعض على سياسة الارهاب والكبت والانتقام كما تسلمت حكم اجزاء كثيرة وهامة من الجزيرة اياد خبيثة وعناصر فاسدة ، وكان كل همها ان تعيش حياة البذخ والترف على حساب الشعب فلفظت الجزيرة هؤلاء الحكام وانطلقت تبحث عن حاكم تجد لديه الرغبة الصادقة في حكمها بعدل وامانة .

تولية الحسن الكلبي حكم صقلية .

كان الحسن بن علي الكلبي "١" يتمتع بثقة المنصور ومحبته ، وكان له في قلب الخليفة الفاطمي مكانة سامية ، وكان الحسن عند ثقة المنصور به فلم يدخر وسعا في سبيل العمل على تثبيت دعائم صرح الخلافة الفاطمية ،وعندما اضطربت الامور في صقلية واستضعف الاهالي واليهم عطاف واستبد بنو الطبري واتباعهم بالامور واعانهم اهل المدينة وامتنعوا عن اعطاء مال الهدنة "٢" ،وانصرف عطاف هاربا حينما قُتل جماعة من رجاله لم يجد المنصور

---

١ ــ ابن الاثير / الكامل جـ ٨ ص ٤٧١
٢ ــ المصدر السابق .

افضل من ان يرسل لهم الحسن بن علي الكلبي ،فاستعمله على الولاية.

وسار الحسن بقوات ليست بالكثيرة ،فارسى بمدينة / مازر/ ولكن احدا لم يلتفت اليه عند وصوله ،فلما كان الليل جاءت جماعة من أهل افريقية واخبروه ان الاوضاع بالجزيرة مضطربه ،وانهم يخافون ابن الطبري وابن عبدون وانصارهما وان هؤلاء ارسلوا للمنصور كي يثنوه عن عزمه عن تولية الحسن حكم الجزيرة ،ثم اتاه بعدهم جماعة من آل الطبري يستقصون امره فلما وجدوه بقلة من اصحابه طمعوا به واخذتهم العزة بانفسهم واستهونوا امره ،لكن الحسن تتبعهم بعد ان خرجوا من عنده فدخل المدينة بلرمو بعدهم مباشرة ولم يشعروا الا وقد صار بينهم فاسقط بايديهم ،ثم جاء حاكم المدينة وكل من سئم كثرة التقلب ورغب بالسلامة ،فاظهروا خضوعهم للحسن ،وانحاز اليهم اصحاب الدواوين وكل منحرف عن آل الطبري ،وازاء ذلك أجبر اسماعيل الطبري رأس هذه الاسرة الى الخروج للحسن واظهار الطاعة له ،فاستقبله الحسن واكرم وفادته ، واستطاع هذا الوالي الجديد ان يكسب محبة الاهالي وثقتهم بما اظهره من بشائر العدل والانصاف وتاكد ذلك لديهم بعد ان قتل غلاما له اتهم بالتعدي على احدى نساء البلد "١" فتأكدوا انه يختلف عمن سبقه ،واستبشروا به خيرا .

وعندما قوي مركز الحسن قبض على آل الطبري واعوانهم وارسلهم للمنصور ثم صادر اموالهم وممتلكاتهم .

١ـ يقول ابن الاثير جـ ٨ ص ٤٧٢ ان الحادث كان مدبرا من اسماعيل الطبري للايقاع بين الاهالي وبين الحسن .

توجه الحسن[١] بعد القضاء على آل الطبري الى اخضاع بقية المناطق التي لم تكن قد خضعت بعد للحكم الاسلامي . فتفاقم بينه وبين هؤلاء النزاع الشديد ،واستنجد مسيحيو صقلية وقلورية بالامبراطورية البيزنطية واستجاب اباطرتها الى ندائهم حيث انهم كانوا يعملون على مناصبة العباسيين بالمشرق ،وشغل المسلمين بالمغرب والاندلس . لذلك ارسل الامبراطور قسطنطين الثامن (٣٠٧ـ ٣٣٣هـ: ٩١٩ـ ٩٤٤م) اسطوله الى الجزيرة ودارت معركة ضخمة مع الجيوش الاسلامية التي كانت بالجزيرة من قبل والجيش الذي كان قد ارسله المنصور الفاطمي لمساعدة الحسن في فتح بقية مدن الجزيرة ، واستطاع الحسن من دحر الجيش البيزنطي ،وانتصر عليه انتصارا ساحقا وقتل قائده . واستطاعت بهذا الانتصار الرائع ان تجعل الامبراطور يطلب الصلح ،وتعهد للحسن ان يدفع اهل قلورية الجزية للفاطميين وان يحترموا الشريعة الاسلامية . واستطاع الحسن بعد هذا النصر ان يقوي مركزه وان يتقدم بجيوشه لمهاجمة المدن الايطالية ،ففتح اقليم قلورية[٢] وبعض مدن الساحل الايطالي.

وعندما تولى المعزّ لدين الله الخلافة الفاطمية سنة ٣٤١هـ اقرّ الحسن الكلبي على حكم الجزيرة واخذ الحسن بعد ان نال ثقة المعز يعمل على اخضاع بقية مدن الجزيرة.

ولم تثنِ عزيمة الامبراطور البيزنطي اندحار جيشه من قبل ،ولم يحترم عهده الذي قطعه للحسن ،فجهز جيشا الى صقلية ،وشجعه على ذلك ما احرزه من انتصارات باهرة على العباسيين والحمدانيين في المشرق ، وطمع في ان يحقق انتصارات في المغرب . كما انه هدف من ارساله هذه الحملة شغل

١ـ حسن ابراهيم حسن واحمد شرف / المعز لدين الله ص ٥٢ .
٢ـ ابن خلدون / العبر ج ٤ ص ٢٠٩ .

المعزّ عن الالتفات نحو المشرق ليتمكن الامبراطور البيزنطي من القضاء على الدولة العباسية التي بدأت تتداعى نتيجة لاستيلاء العناصر السلجوقية وغيرها على الحكم، ولم يعد للخليفة العباسي حول ولا طول.

لذا أرسل سنة ٣٤٥هـ - ٩٥٦م "١" حملة بريّة عن طريق اليونان وأخرى بحرية وركزت الجيوش البيزنطية هجومها على بالرمو وهي مدينة في ايطاليا حيث كان فيها حامية للجيش الاسلامي، وقد فتحها الروم بعد حصار شاق وطني ثم تقدمت الجيوش البيزنطية الى اقليم قلوريه واحرزوا انتصارات شجعتهم على التقدم نحو صقلية نفسها، واستطاعوا الاستيلاء على مدينة / ترميني/ التي تبعد عن بالرم بأربعة عشر ميلا، غير ان الروم لم يتمتعوا بثمار نصرهم فعادوا مدحورين الى قلوريا، واستطاع الحسن واخوه عمار بفضل جهودهما الرائعة وللامدادات المتواصلة التي كان يرسلها الخلفاء الفاطميين من افريقية ان تنتهي المقاومة البيزنطية من ا صقلية ومن ثم ثم عبر الاخوان خليج مسيني الى قلورية وتغلبا على القوات البيزنطية. واضطر الامبراطور البيزنطي ان يرسل للمرة الثانية رسولا الى القيروان سنة ٣٥٠هـ يدعى سقراط يطلب هدنة مماثلة للهدنة السابقة، وتقضي ان يدفع اهل قلورية الجزية للمسلمين.

وهكذا نجد انه نتيجة للجهود الرائعة التي قام بها الحسن واخيه عمار ان زال الخطر البيزنطي عن الجزيرة وانتهى الدور الأول من الصراع الذي بدأه المعزّ لدين الله ضد الامبراطورية البيزنطية والذي تمثل في صقلية وسواحل ايطاليا الجنوبية.

- ١ - حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف/ المعزّ لدين الله ص ٥٣.

وظل الحسن بن علي الكلبي يحكم الجزيرة مدة خمس سنين ، وعندما توفي حزن عليه الاهالي حزنا عظيما لما كان قد اظهره من العدل وحب الخير والانصاف .

وتعاقب على حكم الجزيرة من الاسرة الكلبية عشرة ولاة في مدى خمس وتسعين سنة شهدت الجزيرة خلالها تقدما كبيرا في الحياة العمرانية والزراعية ،وكان لهم الفضل في ادخال العديد من الغلات الى صقلية واستنباتها في ارضها ،كما شهدت نهضة نشطة في العلوم والآداب ، واخلدت صقلية للهدوء واستتب الامن في ربوعها فجنت بسبب ذلك خير الثمار ،واستطاع الكلبيون ان يكتسبوا مودة الاهالي واخلاص الجند ،وكانوا يعتبرون انفسهم مستقلين استقلالا ذاتيا تاما ،ولم يشأ الخلفاء الفاطميون ان ينتزعوا من ايديهم هذا الحق خوفا من افلات الجزيرة كلية ،واكتفوا بالضرائب تصلهم الى القيروان او القاهرة ،وبولاء الاسرة الكلبية ومد يد العون للخلافة الفاطمية كلما طلبت ذلك .

وبعد ان تولى احمد بن الحسن الكلبي حكم الجزيرة خلفا لابيه سار سنة ٣٤٧هـ الى المعز بافريقية مع وجوه الجزيرة فبايعوه وخلع المعز عليهم واثبت احمد على حكم الجزيرة ، وبعد ان عاد احمد بن الحسن الى مقر حكمه في صقلية شن عدة حملات على المدن التي لازالت تقاوم الحكم الاسلامي ، وقد افاض المؤرخون في ذكر الحروب التي قامت بين انصار الفاطميين وانصار البيزنطيين في الجزيرة . فقد استطاع احمد بن الحسن ان يستولي سنة ٣٥١هـ على قلعة / طبرمين/ ـ وكانت من امنع القلاع ـ وطلب اهلها ان يؤمنوا على دمائهم ويكونوا رقيقا للمسلمين ،واموالهم فيئا

فقبل احمد ذلك وطرد اهلها واسكنها جماعة من المسلمين ودعاها (المعزّية) تيمنا باسم المعز ،وكان لسقوط هذه المدينة اثره في استسلام بقية المدن ،الا ان /رمطة/ وهي مدينة حصينة ابت الاستسلام فحاصرها الحسن بن عمار ابن عم احمد بن الحسن في رجب سنة ٣٥٢هـ وطلب اهلها النجدة من الامبراطور البيزنطي "(نقفور فوكاس) (٣٥٢-٣٥٩هـ/٩٦٣-٩٦٩م) وكانت الانتصارات التي احرزها هذا الامبراطور على العباسيين والحمدانيين ثم على الربضيين في جزيرة اقريطش ان تشجع على التوجه نحو الغرب علّه ينال من شرف الانتصار ما ناله في المشرق .

واعد نقفور لذلك جيشا جرارا واسطولا ضخما لم يدخل الجزيرة قبل ذلك مثله ابدا ، وملأ الاسطول بالمؤن والذخيرة واختار له اشهر قواده ، وقد بلغ هذا الجيش نحو من ١٥٠ الف رجل [1] ، وقد تجلت جهود المعزّ وانصاره في صقلية بحسن توزيع الجيوش الاسلامية واعداد الاسطول اعدادا كاملا ، وكان الاسطول الفاطمي قد وصل لنجدة الجزيرة منتصف سنة ٣٥٣هـ ٩٦٤م ،وقسم الحسن بن عمار واحد بن الحسن الجيوش الفاطمية الرئيسية الى قسمين قسما بقيادة احمد بن الحسن نفسه والآخر بقيادة ابن عمه الحسن بن عمّار .

وتقدمت الجيوش البيزنطية مزهوة بكثرة افرادها ،ووجد المسلمون انهم دون العدو عددا وعددا فاستماتوا بالقتال ،وعقدوا العزم على النصر او الاستشهاد والتحم القتال وعظم الامر على المسلمين والحقهم العدو بخيامهم وايقن الروم بالنصر .

---

١ — حسن ابراهيم حسن وطه شرف /المعز لدين الله ص ٩٧ .

فلما رأى المسلمون ذلك عظم عليهم مانزل بهم واختاروا الشهادة ورأوا انه افضل طريق ان يعيشوا كراما او يموتوا ميتة شريفة واخذوا بقول الشاعر .

تأخرت استبقي الحياة فلم اجد | لنفسي حياة مثل ان اتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلو منا | ولكن على اقدامنا يقطر الدما "١"

واعطى ثبات المسلمين نتيجة رائعة فتضعضعت صفوف البيزنطيين وهالهم هذا الاندفاع الهائل ، فاخذت صفوفهم بالتكسر ثم دب الهلع نفوسهم وادرك قائدهم /مانويل/ حرج مركزه فتقدم الصفوف واخذيحث جنوده على الثبات ، وقابل المسلمون هذا التحدي بمثله واعملوا السيف في رقاب الروم ثم احاطوا بمانويل وعقروا فرسه ثم قتلوه ، وولى جيش الروم الادبار لايلوون على شئ ، وارادوا الاحتماء بمراكبهم لكن الامطار والعواصف حالت بينهم وبين النجاة فوقع معظمهم بالاسر وقتل عددكبير من بطارقتهم وامتلأت ايدي المسلمين بالغنائم .

ويعود شرف هذا الانتصار للحسن بن عمار وحده حيث تلقى سيل الروم .

واندفعت البقية من فلول الروم نحو الساحل لائذين بسفنهم ،تاركين رمطة تلاقي مصيرها بنفسها ، وضيق الحسن بن عمار الحصار عليها فاخرج الاهالي اطفالهم ونسائهم للمسلمين ،ولم يشأ الحسن ان يغدر بهم ،

---

١ ــ ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٨ ص٥٥٦ .

ولم تستسلم المدينة الا بعد ان اقتحم المسلمون الاسوار واستولوا عليها بقوة السلاح .

عندما وصلت اخبار هذا النصر الباهر الى احمد بن الحسن اندفع بجيشه نحو مسينا كي يقطع طريق الرجعة على الروم، وعلم انهم هربوا الى جزيرة /ريو/ وهم في طريقهم الى القسطنطينية فلحق بهم ودارت معركة ضارية عرفت باسم موقعة المجاز ، وزحف اليهم احمد بن الحسن في الماء واشتد القتال فالقى جماعة من المسلمين بانفسهم بالماء وخرقوا سفن الروم فغرقت وهرب الباقون واسر قائده الثاني ، وارسل الى سجن المهدية ، ولاتقلّ موقعة المجاز هذه خطورة عن الموقعة السابقة التي خاضها الحسن بن عمار .

وقد سرّ احمد بن الحسن بما احرزته جيوشه من انتصارات ، فخرج يصافح الجند ويعانقهم واحدا واحدا حتى خرّ صريعا من كثرة ما اصابه من اجهاد . وهكذا مات هذا الرجل العظيم احمد بن الحسن الكلبي بعد ان ثبّت لابنائه من بعده دعائم ملكا ثابت قوي في صقلية ، ومد نفوذ الفاطميين ، وساهم مساهمة فعّالة في دحر الاسطول الاموي عندما اراد عبد الرحمن الناصر ان يتحرش بالفاطميين ولعب دورا كبيرا في هزيمة الروم غير مرّة ، وكان مثال الوالي النشط المخلص الوفي لاهل الجزيرة وللخلافة الفاطمية .

وتخوف امبراطور الدولة الرومانية الشرقية المقدسة خطر الفاطميين فعمل الامبراطور (اوتو) الكبير على تحسين علاقته بالخلافة الفاطمية لان ذلك يؤدي الى حفظ ممتلكاته في اقليم قلوريا ويحول دون القضاء على نفوذه في ايطاليا .

وقد تأكد لدى الاباطرة البيزنطيين انه خيرا لهم ان يما لئوا الفاطميين خاصة وان اوتو الكبير بعد ان توجّه البابا امبراطورا على الدولة الرومانية المقدسة ،اخذ يعمل على زحزحت البيزنطيين • فعمل نقفور فوكاس على تحسين علاقاته بالمعز وارسل له سنة ٣٥٧هـ سفيرا الى افريقيا وكان المعز يجهز للانتقال الى القاهرة ،وقد هال سفير بيزنطه مارأى من عظمة المعزّ ووجد ان البيزنطيين قد اخطأوا حينما كانوا ينعتونه بملك المتبربرين•

وقال السفير للمعزّ عند استقباله له : (بعثني اليك الملك ذلك العام ،فرأيت من عظمتك في عيني وكثرة اصحابك ما كدت اموت منه ،ووصلت الى قصرك ،فرأيت عليه نورا عظيما ،غطى بصري ،ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك ،فظننتك خالقا فلو قلت لي انك تعرج الى السماء لتحققت ذلك"١" •)

واطمأن المعزّ الى ان الخطر البيزنطي قد ابتعد عن بلاده نتيجة لهذه المعاهدة وزالت المخاوف التي كان يخشاها عند انتقاله الى مصر ،لذا سار بارسال قواته الى مصر بقيادة قائده الشجاع المخلص (جوهر الصقلي) واستطاع ان يعبئ كل قواته وامكاناته ويبعث بها الى الشرق فيتم له السيطرة على هذا الاقليم الذي كان على مرّ الزمن حلم آبائه واجداده • ودخل جوهر مصر فاستقبله الاهالي بالاهازيج ، واستطاع الانتصار بسهولة على قوات الاخشيد وشرع في بناء مدينة القاهرة سنة (٩٦٩م-٣٥٨هـ)،وانتقل المعزّ اليها واتخذها عاصمة للخلافة الفاطمية ومركز نشر الدعوة الشيعية •

---

١ — ~~الصويوي : المكتبة العربية الصقلية ص ٤٨٤~~ •

١- ابن الاثير جـ٨ ص ٢٩ ؟

المعزّ لدين الله ومحاولته عزل الأسرة الكلبية عن صقلية .

بعد ان استتبت الامور للمعزّ واطمأن للمعاهدة التي عقدها من البيزنطيين التفت نحو صقلية فوجد ان الاسرة الكلبية قد قطعت شوطا كبيرا في توطيد اقدامها على ارض الجزيرة ،ووجد انه من الممكن ان يعلن هؤلاء استقلالهم التام عند اقل بادرة تصدر فاسحة لهم المجال في هذا السبيل . وبدأت الدلائل تظهر للمعز في تصرفات بعض امراء صقلية ،وتزيد شكوكه خوفا ، وكان المعز حساس بدرجة كبيرة نحو امبراطوريته ،فهو لايستطيع ان يتصور ابدا من اي انسان مهما كان نوعه اومركزه ان ترتفع يده لتساوي يد الخليفة .

لذا بدأ يعمل على اقصاء الاسرة الكلبية عن حكم الجزيرة ،ولم يشأ ان يبقي الحسن بن احمد وحده على حكم الجزيرة فاشرك معه في اعماله الحربية اخاه عمار بن الحسن ، كما انه استدعى الحسن الى افريقية بحجة انه بحاجة له في حكم البلاد وانه سوف يقلده مركزا مرموقا ،وترك احمد نائبا عنه فيها كما عمل في نفس الوقت على الّا يترك احمد بن الحسن وحده ،بل اشرك معه في الشئون الحربية ابن عمه الحسن بن عمار . ثم استدعى المعز بعد فترة الامير احمد،"فارق صقلية بجميع اهله وماله وولده واخوانه ،ولم يبق في الجزيرة احد منهم"[١] .

وهكذا تم عزل هذه الاسرة ، ورغم ان المعز تلد افرادها مناصب هامة في البلاد فأن الالسن لم تنقطع عن التحدث برفع يد الاسرة الكلبية عن حكم صقلية .

....

١ ــ النويري / المكتبة العربية الصقلية ص٤٤١ .

وولى المعزّ لدين الله حكم الجزيرة مولاه يعيش،وأخذ يعيش يحاول قيادة الجزيرة سيرًا على خطى الاسرة الكلبية لكن السفينة بدأة تهتز،واخذت العواصف تقذف بها في كل اتجاه ،ولم يستطع يعيش كبح جماح الصقليين فقدهبّوا جميعهم يطالبون بعودة الاسرة الكلبية ، اما المعز فقد برر عمله هذا انه اراد من استدعاء الاسرة الكلبية اصطحاب رجالها معه الى القاهرة لينالوا المناصب العالية فيها تقديرا لجهودهم التي اسدوها للفاطميين، وقدصرّح المعز بذلك بعد ان قامت الثورات في الجزيرة وتهامس الناس بانه أراد بتصريحه هذا ازالت الاثر السئ الذي تركه عزل هذه الاسرة عن حكم الجزيرة في نفوس الناس .

ولما ادرك المعزّ استحالة بقاء يعيش اعاد الكلبيين اليها واسند لهم المناصب العالية ،فعين احمد بن الحسن قائدا عاما للاسطول الفاطمي واقره على حكم الجزيرة واناب عنه اخاه ابا القاسم بن الحسن ،وفي نفس الوقت ابقى محمد بن الحسن في مصر ، ويقال ان محمدا هذا كانت له مكانة كبيرة عند المعز تشبه مكانة قاضي المذهب الفاطمي النعمان المغربي .

وعاد الهدوء الى صقليّة بعودة الاسرة الكلبية ، فدخلها ابو القاسم منتصف سنة ٣٥٩هـ . وابو القاسم هذا هو الملقب بالشهيد لانه توفي بغزاته الخامسة بجنوب ايطاليا سنة ٣٧٢هـ ،وكان هذا الوالي حسن السيرة فاضلا محبًا للعلماء والصالحين ."١"

---

١ ـــ الدكتور احسان عباس ـ العرب في صقليّة ص٤٦ .

ولعل الجزيرة لم تشهد عهدا مزدهرا كعهد الامير ابي الفتح يوسف الملقب بثقة الدولة (٣٧٩-٣٨٨هـ) فقد انسى الناس بجلائل اعماله وفضائله وحدبه على العلماء والعلم وأخذ الحق لاصحابه من كان قبله من بني الحسن، وكانت الايام في عهده من افضل ما مرّ على الجزيرة . فقد اقام الحق وشجع العلم واحيا الزراعة والعمارة وضبط الجزيرة ضبطا عظيما ،واداخ الروم ، واستقامت له الامور، وكان بلاطه ملتقى العلماء والادباء ،وظل قائما بالامر خير قيام حتى اصابه الفالج فعطل نصفه الايسر ، فتنازل عن الحكم لابنه جعفر .

ولكن جعفر هذا لم يكن على مستوى والده . فمنذ استلم الحكم بدأ الوهن يدب في اوصال الجزيرة وبالتالي ليؤدي بها هذا الوهن الى نهايتها وافلاتها من القبضة الاسلامية .

تفكك الاسرة الكلبية ونهايتها .

بعد ان تولى جعفر الامارة ثار عليه اخوه الملقب بتاج الدولة ، واستفاد من الخلاف العنصري بالجزيرة فاستمال اليه البربر والعبيد ، وقامت بين الاخوين معارك مريرة قتل فيها الكثير من انصار علي (تاج الدولة) ثم أسر عليّ نفسه فقتله اخوه ونفى البربر من الجزيرة ، ولم يترك فيها احد منهم ، ثم امر بقتل العبيد عن آخرهم .

عندما قضى جعفر على البربر والعبيد طمع انصاره وزادهم تماديا تغاضيه عن كاتبه حسن الباغاني ذلك الرجل الشّره السيئ الخلق . لقد اخذ هذا الكاتب يستحدث بدعا جديدة لمصادرة الناس والتعدي على حرماتهم . ولم يكتف انه عاملهم بسوء بل استخف ايضا بشيوخ الجزيرة واستطال عليهم ، كما اخذ يفرض الضرائب الباهضة "١" ومن المغارم الجائرة لاتفه الاسباب ولم يكن الجنود والحاشية باقل منه سوء خلق . ورغم هذه المخازي والتعديات الظالمة كان جعفر يصمّ اذنيه عن النصائح التي كان يجزيها له بعض المخلصين لهذه الاسرة ، ولم يقبل من ابيه المجرّب رفع يده عن هذه الفئة الجائرة عن التعدي على حقوق الناس ، ولما ضاقت الامور بالناس واصبحوا لايحتملون اكثر مما اصابهم وسئموا ما قام به حسن الباغاني من ظلم وجور وتعدي خرجوا على جعفر وحاصروه وكادوا يفتكون به ، وهنا عاد جعفر الى صوابه واسرع يستجير بوالده المشلول يطلب عونه .

---

١ ـــ النويري ـ المكتبة الصقلية ص ٤٤٣ .

وخرج هذا الوالد المحطم على محفة،وكانت له عند القوم منزلة سامية لجليل اعماله ، فلما رأوه القوم هدأت ثائرتهم ،وطلبوا اليه ان ينصفهم من ولده فوعدهم بنزعه من ولايته ، فوقع اختيارهم على اخيه الاكحل .

وتسلم الاكحل الحكم بينما تسلم الاهالي الحسن الباغاني واشفوا منه الغليل،فقتلوه ، ومسك الاكحل الامور بحزم وساس البلاد بالعدل ،وكان اذا خرج الى الجهاد اناب ابنه جعفرا ،ولكن كما قدّمنا كان الوهن قد اخذ يسري في الاوصال وبدأت الخيانة تطل برأسها بين افراد هذه الاسرة واخذ جعفر هذا يوقع بين العناصر الصقلية ، ونجح في فصل الافريقيين عن الصقليين وحاق الجور بهم ولم تجد جميع الوسائل بايقاف هذه الفتنة الرعناء،فذهب الاهالي يشكون الى المعزّ بن باديس حاكم افريقية من قبل الفاطميين سنة ٤٢٧هـ "١" يطلبون كبح جماح هذه الفتنة والّا اسلموا الجزيرة للروم .

واستجاب المعز بن باديس لمطالبهم فسيّر معهم ولده عبد الله في عسكر فدخل المدينة وحصر الاكحل ، ثم ندم الصقليون بعد ذلك على استنجادهم بالمعز بن باديس ، وقال بعضهم لبعض ،لقد ادخلنا غيرنا علينا فغيروا رأيهم وعزموا على حرب عسكر المعزّ "٢" وولوا عليهم حسنا الصمصام أخا الاكحل،ويقول ابن الاثير : (فاضطربت احوالهم ، واستولى الاراذل،وانفرد كل انسان ببلد ، ثم اخرجوا الصمصام اخا الاكحل فانفرد القائد ابن منكود بمازر وطرابنش ،وانفرد علي بن النعمة المعروف بابن الحواس بقصريانّة وجرجنت وغيرها ،وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسه وقطانية.)

١ـ ابن الاثير ـ الكامل ج ١٠ ص ١٩٣ . ٢ـ المصدر السابق .

ويذكر ابن الاثير سبب دخول روجار النورمندي الى صقلية انه كان نتيجة لاستعانة ابن الثمنة به ، ويرجع ذلك الى ان ابن الثمنة كان قد تزوج من اخت علي بن النعمة ،وذات يوم سكر فتشاجر مع زوجته وامر بفصدها حتى كادت ان تموت لولا ان جاء ابنه واستنجد بالاطباء فعالجوها حتى شفيت ، وعندما صحي ابن الثمنة اعتذر لزوجته عن فعلته معها ، وتظاهرت انها قبلت اعتذاره ، ثم طلبت بعد فترة السماح لها بزيارة اخيها فسمح لها ، وقصت على اخيها ما فعله معها ابن الثمنة فغضب ابن النعمة وحلف الّا يعيدها اليه ، وبعد ان طال غيابها ارسل ابن الـ الثمنة يطلبها فمنعها اخوها ،واشتد ابن الثمنة في طلبها ، فقامت الحرب بين الاميرين ،ولما انكسر ابن الثمنة ذهب يستنجد بروجار سنة ٤٤٤هـ .

وهكذا يعيد التاريخ نفسه ،فكما ان غزو الجزيرة قد حدث زمن العرب من قبل بسبب امرأة نرى ان قدوم روجار واستيلاؤه على الجزيرة كان سببه امرأة ايضا على حد زعم مؤرخي تلك الفترة .

كما انه مثلما استنجد فيمي بزيادة الله بن الاغلب فخان وطنه وكان السبب في دخول عناصر اجنبية الى وطنه ، نجد ان ابن الثمنة قد نهج هذا النهج المخزي فخان وطنه وابناء دينه واستعان بالاجانب وليته قد حقق شيئا مما كان يرجوه ،بل خرج والخزي والعار يجلله حتى مات ميتة الذل والمهانة .

الغزوات العربية في جنوب ايطاليا وجبال الالب.

كما قدمنا ، كان الخطر البيزنطي ،وخطر العناصر الرومانية ما زال يتهدد العرب في صقلية بالدمار والفناء ، وكانت نقاط تجمع هذه العناصر على ساحل ايطاليا المقابل للجزيرة مازالت تمتلئ بالعناصر المعادية للمسلمين ، وكان على العرب اذا ما ارادوا تثبيت اقدامهم فوق ارض صقلية ان ينطلقوا الى تلك المراكز فيمحونها من الوجود ويقيموا لهم هناك حاميات قوية تضرب بمطرقة ثقيلة رأس كل من تحدثه نفسه بقض مضجع المسلمين وهم بذلك يستطيعون ان يضربوا عصفورين بحجر .

الاول هو تامين صقلية من خطر الهجوم المعادي للمسلمين .

الثاني ، متابعة الجهاد في سبيل الله ونشر راية الاسلام فوق تلك الاصقاع . وكان لهذا الهدف معنى كبيرا جدا فيما لو علمنا ان ايطاليا هي قلب العالم المسيحي ومركز حضارة الرومان التالدة ومقر البابوية الراسخ .

وكما كانت اسبانيا في بدء عهد المسلمين فيها نقطة الارتكاز لشن الحملات العسكرية على فرنسا والجزر البحرية المحيطة ، هكذا اصبحت صقلية نقطة انطلاق ومركز تجمع لشن الحملات على ايطاليا .

واول ما ظهرت الجماعات الاسلامية في جنوب ايطاليا كان بين سنتي ٨٣٤ـ ٨٣٩ م . فقد استفحل الخلاف بين دوقات ايطاليا واستطال بعضهم على بعض ، فاستنجد دوق نابلي بالعرب على دوق بننتو "١" ولم يحجم العرب عن تلبية طلبه ، وتدفقت القوات الاسلامية الى هذه الاصقاع ، واخذت منحدرات جبل فيزوف تردد اصداء تكبير المسلمين وصيحاتهم ،كما رددتها من قبل في صقلية منحدرات جبل النار " اتنا " .

١ ـ الدكتور السيد الباز العريني - تاريخ اوربا العصور الوسطى ص ٢١٤

سنة ٨٤٠ م وقعت بايدي المسلمين مدينة باري التي تتحكم في مدخل بحر الادرياتيك واتخذوا منها قاعدة رئيسية لهم مدة الثلاثين عاما التالية . وتقدمت قوات اسلامية سنة ٨٤٦ م "١" حتى بلغت في زحفها مدينة روما ، ولم يقدر احد على دفع هذه القوات الا دفع جزية قدمها لهم بابا روما وصان بها كرامة المدينة من السقوط تحت ضربات المسلمين.

سنة ٢٢٨هـ سار الفضل بن جعفر الهمذاني فنزل مرسى مسيني واستأمن اليه اهل نابلي وصاروا معه ، ثم حصر الفضل سنة ٢٣٢هـ مدينة لنتيني فكاتب اهلها البطريق الموجود بصقلية لنجدتهم لكن الفضل استطاع اسر بعض الرجال الذين ذهبوا الى بطريق صقلية حين عودتهم وكشف الخطة المعدة لهذه الغاية واستطاع ان يستغلها لصالحه وتمكن من دحر القوات الرومانية .

واصبح للعرب قواعد ثابتة على الساحل الايطالي الجنوبي ، وقد شن من هذه القواعد فيما بعد ابراهيم الثاني الاغلبي سنة ٩٠٢م عدة حملات وطدت اقدام المسلمين في هذه الاماكن .

ونتيجة لهذه الحملات الموفقة التي قام بها المسلمون ،بلغت الاحوال من السوء في اقليم كللابريا بالنسبة للرومان حدا جعل " نيل " اسقف روسانو سنة ٩٨٠م يتخلى عن مقره ، وتعرض امبراطور الدولة الرومانية المقدسة " اوتو الثاني " لهزيمة ساحقة في خليج سكويلاك "٢" عندما اراد ان يجرب حظه ويخوض الحرب مع المسلمين العرب .

---

١ — تاريخ الحضارات العام / ادوار بري ترجمة يوسف وفريد داغر .

٢ — المرجع السابق .

وعندما جرّد الامبراطور البيزنطي نقفور فوقاس سنة ٨٨٥م حملة لوقف تقدم المسلمين في ايطاليا لم يُجْده ذلك رغم القوات الكبيرة التي ارسلها سوى ان تحول المسلمون الى قاعدة " فرانييه " ومنها استطاعوا اجتياز مسالك جبال الالب فوصلوا الى ممر سان بونار والى بحيرة " كونستانس" ومنها هبطوا الى " دوفنيه " و " وبيمونت " .

وما زال حتى الآن في جبال الالب عدد من القلاع والاسوار الضخمة التي اقامها العرب على مداخل الطرقات الجبلية لتحصيل الرسوم الجمركية التي كانت تفرض على البضائع والتجارة المارة فيها .

وما زال الادلاء في وقتنا هذا يقولون عنها للسياح انها ترجع الى الفتح الاسلامي ،ولا يستبعد وصول العرب الى سويسرا حيث وردت اسماء اماكن هناك يشتم منها بانها اسماء عربية مثل : جابي (GABY) والجابي (AL GABY) . وهكذا نجد ان العرب المسلمين لم تكن تطلعاتهم تطلعات اقليمية محلية ولم يثنهم خصب ~~تربة~~ منطقة او رغد عيش في مكان ،بل كانوا يعتقدون انهم حملة رسالة عظيمة ومصدر اشعاع وضاء لابد من ايصاله الى جميع البشر ،ولابد لهذا النور ان يصل الى كل مكان ليعم اقطار الارض وينقذ العالم من ظلام الاستعباد والاستغلال وزيف المعتقدات البالية المدمّرة ، فقد كانوا ينشرون حضارتهم اينما حلّوا ويأخذون معهم اينما رحلوا مشعل الحرية والمساوات والعدل ليغرسوه في نفوس سكان كل بقعة يضعون فوقها اقدامهم .

نظـــرة اجمـــالية ٠

بغض النظر عن كون نقاء العروق البشرية كاملا مئة با المئة
على حد مايذهب اليه علماء الاجتماع والاجناس ،فأن العناصر الفينيقية كانت
احدى الموجات السامية التي خرجت من المنبع الاول للعرق السامي ،وهو شبه
الجزيرة العربية ،وكان لاندفاعها الرائع الى شواطئ البحر المتوسط الشرقية
والى مراكز عديدة في حوضه الغربي ،دليل قاطع على حيوية هذه العناصر
وايمانها الراسخ بالتقدم الحضاري ،وايجاب حمل راية سامية الى جميع
شعوب العالم ، والخروج الكامل عن التعصبات العرقية ،والاقليمية الضيقة،
وايمان هذه العناصر بوحدة البشر جميعا ٠

فقد اعطى الفينيقيون زبدة عقولهم وخلاصة ما وصلوا اليه من علوم لجميع
البشر ،وقدموا آخر مبتكرات التقدم والحضارة من الفلسفة والاخلاق والدين.
قدموا ابجديتهم العظيمة التي صارت المرتكز الاساسي للكتابة اليونانية
ومن ثم اصبحت المنطلق للحروف الاوربية ،وقدموا اسلوبهم في فن الاصباغ
والتجارة وصناعة السفن ،واستنبات الانواع العديدة من الزراعات المتعددة
الالوان والانواع ٠

لقد قدموها كلها على اطباق من الفضة ليهضمها ابناء البشر كافة
هنيئا مريئا ٠

وكانت الموجة العربية آخر الموجات الحضارية الكبرى التي انطلقت من نفس
الينبوع الذي انطلق منه الفينيقيون ، ولكنها كانت اعظم هذه الموجات حضارة
وارقاها فكرا ، بحيث انها استطاعت ان تصهر جميع الشعوب التي حلت

بينها في بوتقتها ، واصبحت هذه العناصر كلا واحدا لا يتجزأ ،واعطت هؤلاء الدافع الروحي والغذاء العقلي الدسم الذي جعلهم ينسون تماما اصولهم السابقة بل ينكرونها بتاتا ، ويندفعوا مع اخوانهم حاملين فكرتهم وعقيدتهم وايمانهم بوجوب ايصال نور الاسلام الى كل الشعوب ، ويعود ذلك الى ان دستور هؤلاء العرب الافذاذ وهو القرآن الكريم الذي كلفهم الله تعالى بشرف حمله قد ارسل للناس كافة واصبحوا حيال امر لامندوحة لهم من تحقيقه اذا ما ارادوا ان ينفذوا مواد هذا الدستور ويتبعوا سنن نبيهم العظيم الذي شرح لهم هذه المواد وغرس في نفوسهم الايمان بالمستقبل الزاهر لجميع الشعوب ولكل البشر (فلا فرق بين لون ولون اوعرق وعرق) (فكل الناس سواسية كاسنان المشط) .

كانت هذه الاضواء البراقة سرعان ما تجذب اليها شعوب المناطق التي يمر فيها العرب وتندمج في بوتقتهم ،وتحيا بحياتهم .

واذا كان للعرب فضل ايقاد هذه الشعلة النيّرة ،فان لافراد عديدون من الشعوب الاخرى اياد بيضاء في حمل هذه الشعلة والانطلاق بها الى كل ركن استطاعوا اليه الوصول بقيادة اخوانهم العرب ،وكانت الشعوب التي تمانع الانطلاقات الاسلامية من الوصول الى مناطقهم بمثابت منع النور من الدخول الى بيوتهم ، ودليلنا على ذلك هو حقبة العصور الوسطى التي اطلق عليها الغرب نفسه (فترة العصور المظلمة .) بالنسبة لشعوبهم ، كانت فترة الضياء والنور الوهاج والحضارة الراقية والحرية الصحيحة والمساواة الحقة بالنسبة للعرب .

لقد نمت في ظلهم حضارة وطيدة الاركان شامخة البنيان ، واستطاع الغرب الاوربي فيما بعد الارتكاز عليها والانطلاق على هديها الى آفاق الكون .

لقد امتدت ثقافة الاندلس العربية الى ما وراء السيطرة الاسلامية، واخذت قرطبة تتلقى في معاهدها ودور علمها البعثات الاوربية التي جاءت لتنهل من هذا الينبوع الدافق بماء الحياة .

وتألق مركز الاشعاع الحضاري في صقلية على ايدي العرب المسلمين ، واستجلبت الكتب العربية من بلاد الشام ، وقام على ترجمتها رجال الفكر ، واستطاعت ثقافة الاندلس والتسامح الديني والحرية الفردية انطلاق الفكر اليهودي الذي كانت مستعمراته الاسبانية آنذاك اوسع المستعمرات اليهودية المشتتين ثقافة .

فروى بنيامين التودلي "١" على غرار معاصره ابن جبير رحلته الى الشرق وليس ثمة شك في ان المؤلفات الفلسفية والدينية - التي تأثرت بابحاث المسلمين - واطلع عليها المفكرون المسيحيون بدورهم هي اهم ما حققه هؤلاء بالنسبة للتاريخ العام .

ونهج ابن ميمون على غرار معاصره ابن رشد في المذاهب الفلسفية ويعد ابن ميمون الذي استقى افكاره من حضارة العرب اكبر مفكر يهودي واعظمهم جرأة في القرون الوسطى ، وكان يقوم بعمله هذا تحت سمع وبصر المسلمين ، واثمرت جهوده نتيجة للتسامح الاسلامي .

....

١ — تاريخ الحضارات العام ص ٣٣٥ .

اضواء على الاسباب التي ادت الى استيلاء روجار النورمندي على جزيرة صقليّة .

برغم ان خطر الفناء الذي اخذ يتهدد مسلمي صقليّة قد اصبح حقيقة واقعة ،ورغم ان الهالي اخذوا يلمسون هذا الخطر لمس اليد ،لم يترك زعمائهم اهواءهم الشخصية ونزعاتهم الفردية ويقدموا على توحيد جهودهم حيال الامر الواقع لدفع هذا الخطر الجسيم الذي يتهددهم جميعا بنهايات مؤلمة .

لقد استشرى الخلاف وعمقت جذوره بين الزعامات المتعددة في الجزيرة وسعى كل زعيم الى تحقيق مآربه ونزواته ، ولم يتورعوا عن طلب العون على بعضهم بعض من العدو المتربص بهم الذي يتهددهم بمصير بائس مظلم .

لقد زرع ابن الثمنة بسابقته الدنيئة بذرة الانانية الفردية والخيانة الوطنية ،وسار على خطاه كل طامع في منصب مهلهل رث ،دون ان ينظر لأبعد من موطئ قدميه .

واخذ روجار يستل اجزاء الجزيرة من ايدي اصحابها جزءا بعد آخر ، نتيجة للانانية والحسد والبغضاء . ولما استفحلت الامور وطالت المشاحنات وكثر القتل والاغتيال ،شعر بعض المخلصين بما يتهدد الجزيرة من اخطار ، فتلفتوا حولهم فلم يجدوا منقذالهم من هذه الامور الا المعزّ بن باديس حاكم افريقية من قبل الخلافة الفاطمية ،فذهبوا اليه يطلبون عونه ،غاضين النظر عن خلفاء الفواطم اصحاب البلاد وخلفائها الشرعيين .

وكانت الاقدار قد لعبت دورا تمهيديا من قبل بالنسبة للخلافة الفاطمية فقد وهنت منها العزائم واصبحت من الضعف بمكان ، وتسلط الوزراء العظام على الحكم ،واصبح همّ الخلفاء الاهتمام بمصالحهم الشخصية فقط ، وترك الامور تسير في اجزاء الخلافة كيفما اتفق •

وكان حكام افريقيا ايضا قد نُكبوا باحداث جسام مدمرة فقد نزع المعز بن باديس ولاءه للفاطميين فارسل هؤلاء بجحافل جرارة من القبائل العربية من بني هلال وبني سليم وغيرها ،: فعاثوا بالشمال الافريقي وانساحوا يدمرون ويقتلون، ومما زاد الطين بلة ايضا قيام ثورات وحروب عديدة بافريقية ، فجرّت كل هذه العوامل الفقر والجوع والعرى وحاق بالاهالي الضيق الشديد •

ورغم هذا لم ينسى حاكم افريقيا المعزّ بن باديس واجبه نحو صقلية فارسل اسطوله لانقاذ الجزيرة ، ولكن الاقدار تشاء ايضا ان تخيب امل الصقليين والمعزّ معهم ، فيصاب الاسطول بكارثة مدمرة نتيجة لهبوب عاصفة بحرية بعيد اقلاعه بفترة وجيزة ، فلا يعود الى المعز من اسطوله الا بضع سفن محطمة •

بعد موت المعز ان باديس سنة ٤٥٠ هـ تولى ابنه تميم مقاليد الحكم وارتبط امل الصقليين به في ارسال حملة بحرية لتخليص الجزيرة من ايدي النورمان ، ولم يخيب تميم املهم فارسل لهم اسطولا وضع على راسه ولديه ايوب وعليا •

ووصل الاسطول صقلية وهلل له الاهالي فرحا واظهروا له من ضروب ال
الترحاب الشئ الكثير، ولم يعجب هذا الاستقبال ابن الحواس حاكم
الجزيرة ، وينظر الى هذه القوات نظرة خوف وحسد ، وبدلا من ان يقدم نفسه
وجيشه فداء الجزيرة ضد غزاتها الاجانب يقف هو وانصاره موقفا عدائيا
في وجه الجيش الذي جاء لانقاذه (ولم يحب علي ما يظهر ان يرعى الجمال
كما قال المعتمد بن عياد في الاندلس فيما بعد) .

وتدور المعركة مع جيش تميم وتلقن العناية الالهية ابن الحواس درسا
قاتلا ،اذ يصيبه سهم غرب يودي بحياته .

ولكن الفتنة لم تنتهي بموت ابن الحواس، فيتحزب انصاره ويزداد الشر
بينهم وتصل الامور الى حد بالغ السوء . وازاء الامر الواقع يقررالاخوين
ترك الجزيرة تلاقي " ما لاقى مجير ام عامر " ،ويرجعا بالاسطول الى
افريقيا سنة ٤٦٠هـ يصحبهم جماعة من اعيان صقلية ، ولم يبق للفريم ممانع
فتقع الجزيرة لقمة سائغة فيلتهمها روجار هنيئا .

تسامح روجار .

ما اكثر ماذكرت الكتب عن تسامح روجار اتجاه رعاياه من المسلمين، ووقوفه امامهم مدافعا عنهم محاميا لهم من اعتداآت الطوائف الاخرى،وما اكثر ما شاد بعدل روجار الشريف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق.
فهل يا ترى كان تسامح هذا الامير النورمندي واسرته من بعده ينبع من ضمائر نقية مخلصة حبا في العدل ولا غير العدل ابدا ،دون النظر للاعتبارات الاخرى او " لحاجة في نفس يعقوب " .

اين تسامح روجار واسرته ودفاعهم عن المسلمين في صقلّية من تسامح خلفاء المسلمين بدءا من ابو بكر الصديق ومرورا بعمر بن الخطاب ومعاوية بن ابي سفيان والمأمون ؟.

كان ابو بكر الصديق يوصي قواده حينما كان يوجههم للحرب ،ان لايقتلوا راهبا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ،ولا يقتلعوا شجرة ،حتى ولا يقتلوا حيوانا الا ما كانوا بحاجة له لاطعام الجنود .

وكان عمر بن الخطاب يأخذ الحق لصاحبه ولو كان من اقرب الناس اليه ودليلنا على هذا ما حدث مع ابن عمرو بن العاص حينما سبقه احد اقباط مصر في سباق جرى بينهما ، فضربه وقال له أتسبقني وانا ابن الاكرمين؟.
ولما شكاه القبطي لعمر اقتص الخليفة من ابن الاكرمين .

اما معاوية فكان مثال الرجل المتسامح الذي كان يقول لوكانت بينه وبين الناس شعرة لما قطعت.

اما المأمون فيقتص من ابنه لانه تعدى على املاك امرأة حينما شكته للخليفة نفسه .

اما تسامح روجار فأنه كان ينبع من ايمانه بأن المسلمين بالجزيرةهم لب المجتمع الصقلي والعقل النير الذي سيكفل له في المستقبل زهو الحياة وكوامن الحضارة التي توصل اليها العرب ، ولو استعمل معهم العنف وترك الطوائف الاخرى تقضي عليهم كما اخذ يحدث فيما بعد ،لانطفأ النور الذي يشع فوق ارض الجزيرة ، ولعادت سنين عديدة الى الوراء ،ولما استطاع فيما بعد ان يحقق ما حققه من تقدم كبير في حقول العلم والمعرفة .

ان روجار بعمله هذا كان بعيد النظر ، فقدر الامور جيدا ،واستطاع باصطناعه سياسة حماية الطبقة النيّرة من المسلمين المقيمين بين يديه ~~لمن يجذب اليه بعضهم~~ في المدن ،والظهور بمظهر الحامي لهم ان يكسب خلاصة هذه العقول المفكرة في الجزيرة ،وحتى ان يجذب اليه بعضهم من خارجها كما فعل الجغرافي الكبير الشريف الادريسي، وان يجعل منهم سُلّما ارتقى فوقه نحو المجد .

حقا عندما بدأت الجيوش العربية تفل نظم عقد الامبراطورية الفارسية في العراق ~~والامبراطورية~~ وايران وامبراطورية الرومان في الشام ومصر وشمال افريقية كان يوجد لدى هاتين الامبراطوريتين قدر لابأس به من الثقافة والعلوم ،وكان الفرس والروم قد بسطوا ظلهم سنين عديدة على تلك المناطق الشاسعة بفضل حضارتهم تلك وان العرب اخذوا قدرا من تلك الحضارة حينما قدرلهم ان ينساحوا في هذه المناطق لكن الحضارة العربية في الحقبة التي سقطت فيها صقلية ،كانت اكثر نضجا ،واعظم قدرا ، واضخم كمية ،واعلي شأنا ،واعمق فكرا ،وادق فكرة ،وابعد غورا من حضارة الامبراطوريتين السابقتين .

لقد كان زخم الحضارة العربية قد قطع شوطا بعيدا في الرقي والسمو ،ووصل بريق نوره معظم بقاع العالم ،وتاثرت فيه الامم اكثرها "١" ، حتى روجار نفسه كان مبهورا هو وخلفاؤه من عظمة الحضارة العربية ٠

كان هدف ابو بكر من تسامحه ينبع من عدالة الدين الذي جاء به خاتم الانبياء (صلعم) ٠ ٠ كان ينبع من ايمانه ان البشر كلهم خلقوا من اب واحد وام واحدة (كلكم من آدم وآدم من تراب) (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وطالما ان البشر كلهم اخوة فالعدل بينهم واجب والرحمة بينهم ضرورة لازمة ،

كان عدل ابابكر وعمر عدل صاف نقي لايهدف استغلال ولا ستعباد ،وكان العدل يصل الى كل انسان ، ولطالما كان القصاص يطال اقرب الناس من الخلفاء بسبب جور لحق بأحد الرعايا ٠ اما روجار فقد كان عدله ممزوج بعوامل مختلفة من الاستغلال والاستعباد ، فهو يحمي في الجزيرة طائفة من العلماء والمفكرين المسلمين الموجودين بين يديه في بعض المدن ، اما خارج هذه المدن في الارياف والاماكن النائية فلطالما تعاونت الفئات المختلفة على تقتيل المسلمين وافنائهم ٠

وحادثة قائد جيشه فيليب تدل على مبلغ التسامح الذي كان يمارسه روجار ٠

" فقد غزا فيليب بونه ـ على الساحل الافريقي ـ واستولى عليها ،غير انه اغضى على جماعة من العلماء والصالحين حتى خرجوا بأهلهم واموالهم الى القرى ، ولما عاد الى صقلية قبض عليه روجار لما اعتمده من الرفق بالمسلمين ،وكان يقال انه وجميع فتيانه مسلمون يكتمون اسلامهم ،وشهد عليه بعضهم انه لايصوم مع الملك ، وانه مسلم ، فجمع روجار الاساقفة والقسوس والفرسان فحكموا عليه بأن يحرق في رمضان ٠"٢"

هذا عدل روجار ،وعدل ابي بكر حينما كان يوصي قواده خيرا برجال الصوامع والبيع ٠ـ٠

---

١ عباس العقاد / اثر العرب في الحضارة الاوروبية ٠ ٢ ـ احسان عباس / العرب في صقلية ٠

الغزوات النورماندية في بلاد المسلمين

بعد ان خضعت جزيرة صقلية الى حكم الفرنج من اسرة هوتفيل ،وعلى رأسها روجار النورماندي،وهاجر العدد الاكبر من سكانها المسلمين ،وبخاصة العلماء والمفكرين والشعراء الى افريقية وبدأ ابن حمديس اكبر شعراء الجزيرة يندب فردوسه المفقود الذي امضى فيه اجمل ايام حياته ،ولم يكن ليكلف نفسه هو ومفكري الجزيرة من رجالها مؤونة لفت الانظار للخطر الداهم الذي يتهدد الجميع . بل كان جُلّ همهم جني ثمار الحياة الرغدة الناعمة ،والتغني بمفاتن الجزيرة ومباهج الحياة .

واذا تصفّحنا ما تركه لنا ادباء الجزيرة من مخلفات شعرية وادبية ،لوجدنا انها لاتتحدث الا عن رهف العيش ورغد الحياة ومفاتن الطبيعة والتغزل بحوريّات الجزيرة وغلمانها ومرابعها الفاتنة ومياهها المتدفقة ونافوراتها المنطلقة في قصور الامراء ،ومدح الحكام والولاة . اما عندما يتقدم العمر بالشاعر فيصبح حكيما زاهدا يجزي حكمه عن جمال وسمو الزهد في الحياة ،ومنافع البساطة في العيش ،واطلاق الحسرات على الايام الخوالي.

وليتهم حافظوا على فردوسهم هذا ،وصانوه ودفعوا عنهم العدو الذي استحل اجزاءه وصانوه كما يصون الرجال اوطانهم ،وكما صان اجداد لهم هذا التراب الطاهر ورووه بدمائهم ليبقى لهم ابدا عزيزا كريما ،ولكانت بقيت لهم لو فعلوا ذلك الحياة الرغدة والعيش الكريم

ابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن ابي البشائر شاعر من صقلّية يتغزل .

اليك أشكو عيونا انت قلت لها ... فيضي فقد فضحتني بين جلّاسي

وما تركت عدوا لي علمت به ... الاّ وقد رقّ لي من قلبك القاسي

فأن رضيت بأن القى الحمام فيا ... اهلا بذاك على العينين والراس

وهكذا نرى عيونه تهطل الدمع على هجران الحبيب وهو يرحب بالحمام اذا ارضى ذلك الحبيب .

ويقول ابو البشائر ايضا :

وساق كمثل الغزال الربيب　　بصير اللحّاظ بصيد القلوب

جسرت عليه فقبلتّـــه　　مجاهرة في جفون الرقيـب

فلما توسدت كف الكرى　　واهداه لي سكره من قريب

تعجلت ذنبا بفتكي بـه　　ولكنّـه من مليح الذنوب

اما ابو عبدالله محمد بن الحسن الطوبي الذي كان صاحب ديوان الرسائل والانشاء وكان طبيبا وشاعرا ،فقد اورد من نظمه هذه الابيات :

ما الصبر بعد فراقكم من شاني　　رحل العزاء برحلة الأظعان

ماكنت احسب للمنية ثانيـا　　فأذا الفراق هو الحمام الثاني

بعدا لذاك اليوم بعدا!! انـه　　أجرى دموع العين با الهملاني

وعبد الحليم بن عبد الواحد يملأ الحزن نفســه على ماآل اليه الحال في صقليّة بعد ان استولى النورمان عليها فيندبها قائلا :

عشقت صقليّة يافعة　　وكانت كبعض جنان الخلود

فما قدّر الوصل حتى اكتهلت　　م و صارت جهنم ذات الوقود

والبشيري الصقلّي هو عبد الرحمن بن محمد من مدينة بشيرة . بعد ان استولى روجار على الجزيرة وغامت شمس العرب عن ربوعها ،وبهتت راياتها العربية الخافقة ،لم يجد هذا الشاعر سوى روجار يمدحه بقصائده ولا ينسى ان يتغزل بجمال صقليّة وروعتها فيقول :

أدر العقيق العسجدية　　وصل اصطباحك با لعشية

واشرب على وقع المثا　　ني والاغاني المعبديـه(١)

ما عيشة تصفو سوى　　بذرى صقليّة هنيـه

في دولة أربت على　　دول الملوك القيصريّه

وقصور منصورية　　خط السرور بها المطيّه

اعجب بمنزلها الذي　　قد أكمل الرحمن زينـه

وكسا الربيع ربوعها　　من حسنه حللا بهيه

ثم يأتي ابن القطّاع .

(١) [illegible]

بعد ان جاوز الخمسين من العمر ليذكّر نفسه ان العمر قد قارب على النهاية وان عليه ان اراد السلامة ان ينسى ايام السرور ويطلّق عهد الشباب ويترك حياة اللهو والمجون .

فلا تنفذنّ العمر في طلب الصبا ولا تشغفين يوما بسعدى ولانعم
ولاتندبن اطلال ميّة باللوى ولاتسفحن ماء الشئون على رسم
فان قصارى المرء ادراك حاجة وتبقى مذمّات الاحاديث والاثم

وقوله :

فيا نفس غدّي عن صباك فأنه قبيح برأس بالمشيب معمم
افق انّ في خمسين عاما لحجة على ذي الحجى ان لم يكن قلبه عمي

هذه نماذج قليلة من اشعار ادباء صقليّة ورجال الفكر فيها . وانه لمما يحزّ في النفس ان يتعامى هؤلاء عن ابداء النصح والمشورة الصادقة لزعماء الجزيرة المتناحرين على زعامات مهلهة رثة .

وهكذا بعد ان خرج اصحابها العرب المسلمون الى غير رجعة ،فاضت مآقي ابن حمديس الشاعر الصقلي النحل ،فأخذ يبكي الفردوس الضائع ،ويذكر بألم وحسرة احلى ايام العمر:

ذكرت صقليّة والاسى يهيج للنفس تذكارها
ومنزلة للتصابي خلت وكان بنو الظرف عمارها
فأن كنت اخرجت من جنة فاني احدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعي انهارها
ضحكت ابن عشرين عن صبوة بكيت ابن ستين اوزارها .

ولم يترك روجار بعد استيلائه على الجزيرة لأهلها المسلمين حمّاما ولادكانا ولا طاحونا ولافرنا[١]".

مات روجار الاول سنة ١١٠١م وملك ابنه روجار الثاني ،وقد سار على سياسة ابيه من اظهار الحماية للمسلمين ،واصطناعهم لمصلحته الشخصية ،حتى انه شكل منهم جيشا كبيرا كثيرا ما كان يرسله الى السواحل الاسلامية ليقتل المسلمون بعضهم بعضا .

---

١ ـ ابن الاثير ـ المكتبة الصقلية ص ٢٧٦ ج ٢ .

وفي القصة التالية التي يرويها لنا ابن الاثير في كتابه الكامل في التاريخ ما يوضح جليا نوايا روجار الثاني واهدافه نحو البلاد الاسلامية يقول :

ز" عند خروج الفرنج الى بلاد المسلمين في الشام - في الحملة الصليبية الاولى - ارسل بردويل احدملوكهم الى روجار حاكم صقليّة يقول له (وكان نسيبه) لقد جمعت جمعا كبيرا وانا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقية لفتحها واكون مجاورا لك .

فجمع روجار اصحابه واستشارهم فقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم وتصبح بلاد النصرانية . فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال ،وحق ديني هذه خير من كلامكم ،قالوا وكيف ذلك ،. قال: اذا وصلوا اليّ احتاجوا الى الكلفة الكثيرة ،ومراكب تحملهم الى افريقية وعسكر من عندي ايضا . فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤونة لهم من صقلية ،وينقطع عني لهم ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة ،وان لم يفلحوا رجعوا الى بلادي وتأذيت بهم ،وقول تميم غدربي ونقض عهدي[1] ،وتنقطع الوصلة والاسفار بيننا ،وبلاد افريقية باقية لنا متى وجدنا قوة أخذناها[2] . واحضر رسوله وقال له : اذا عزمتم على جهاد المسلمين فأفضل ذلك بيت المقدس تخلصونه من ايديهم ويكون لكم الفخر ،واما افريقية فبيننا وبين اهلها ايمان وعهود ،: فتجهزوا وخرجوا الى الشام".

بدأت غزوات رجار الى ساحل افريقية سنة ٥١١هـ حيث كان يحكم مدينتا قابس والمهدية رافع بن مكن الدهماني ،فأخذ هذا الامير بأنشاء مراكب بساحل قابس ليحمل التجار والبضائع في البحر ،وكان ذلك آخر ايام الامير يحيى والد علي حاكم افريقية العام ،ولم ينكر يحيى ذلك على جري عادته من المداراة ،لكن بعد موته وتولي ابنه (علي) الامر جرد جيشا وحاصره فأضطر رافع للاستنجاد بروجار فأنجده ،وكان علي ينكر اقدام روجار على هذا العمل نظرا للمعاهدة المعقودة معه ،ولكن بعد مرور السفن امام المهدية تحقق من الامر فأرسل يطلب نجدة من المرابطين في مراكش واخذ بتحصين اسوار المدينة فلما رأى روجار ذلك كف عن مهاجمتها .

---

١ - كانت هناك معاهدة عدم اعتداء معقودة بين تميم وروجار .
٢ - هذا مايدل على ان تقيد روجار بالعهود كان مرتبطا بقوة جيشه .

ولما تولى الحكم الحسن بن علي على اثر موت والده سنة ٥١٥هـ جرّد اسطولا سنة ٥١٧هـ فتح به نوقطرة بساحل قلورية ،وازاء هذا لم يشك روجار ان المحرض على هذا كان عليا فجهز اسطولا عظيما قيل ٣٠٠ قطعة وفيها نحو الف فرس ،الا انهم ساروا الى مرسى علي فهبت عليهم عاصفة اغرقت اكثر خيولهم ومراكبهم فتحولوا الى حصن الديماس على الساحل الفريقي ودخلوا اليه لكن المسلمين تمكنوا من محاصرتهم وغنموا منهم نحو من ٤٠٠ فرس .

ورغم ان الهزيمة كثيرا ماكانت من نصيب هؤلاء النورمان الا انهم لم يكفوا عن غزو الساحل الافريقي وغزو سواحل الشام ومصر رغم المعاهات التي كانوا يبرمونها مع حكام تلك البلاد وكان هدف هؤلاء اقتناص الفرص وتحين الاوقات للاغارة على السواحل الاسلامية ،رغم ظهورهم بمظهر الصداقة والتحالف . وكثيرا ما كانوا يلبون طلب غزات الفرنج الذين بدأوا الحملات الصليبية على بلاد الشام . فقد استعان الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع بجموعهم عندما هاجم بلاد الشام .

وبعد ان وطدوا اقدامهم في صقلية اخذوا يوجهون انظارهم نحو الاستيلاء على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط علهم يستطيعون اقامة امارة لهم فوق ارضها وكانوا يعدّون ذلك اتماما لحربهم ضد المسلمين في صقلية .(١)

ويجب ان نذكر في هذا المقام ان بوهيموند خليفة روبرت جيسكار واكبر ابنائه من ملوك النورمان ما كاد يعلم حقيقة نوايا الحملة الصليبية سنة ١٠٩٦م حتى سار للمشتركات فيها يصحبه عدد كبير من امراء صقليّة وجنوب ايطاليا ،واستطاع بالفعل ان يستولى على انطاكية وان يقيم فيها امارة له . لقد كانت محاولات هؤلاء الامراء محاولات دائبة ومستمرة فبعد ان سقطت صقلية في ايديهم لم يبق الا جزيرتا مالطة وقوصرة تحميان شواطئ افريقية فأرسل روجار عام ١٠٩١م اسطولا الى مالطة اجبر حكامها المسلمين على الاعتراف بسيادته كذلك استولى على جزيرة قوصره .

ولم يكتف النورمان بأزالة سلطان المسلمين عن هذه الجزر بل حاولوا الاعتداء على المهدية عام ١١٢٣م ،ورغم اخفاقهم عادوا المحاولة سنة ١١٤٨م واستولوا عليها نظرا لان حكام افريقية الكثيرين كانوا في هذه الفترة مشغولين بالتناحر ومقاتلة بعضهم بعضا على زعامات جوفاء . وبقي النورمان يحكمون المهدية حتى جاء الموحدون فأنقذوها من سيادة النورمان .

(١) ـ د/ نور الدين حاطوم

وقد اثارت مشاريع روجار الثاني التوسعية كلا من البابوية واباطرة الجرمان والبيزنطيين والمسلمين في الشمال الافريقي ،ولكن النصر كتب لهؤلاء النورمان عليهم جميعا ،وامتدت سطوتهم الى تونس وصفاقس وبونه وطرابلس ،ولم تستطع تونس التخلص منهم الا في عهد وليم الثاني عام ١١٨٩م (١) .

وقد لعب امراء صقلية النورمنديون دورا مهما في الاحداث التي دارت بعد ذلك في عهد صلاح الدين الايوبي وخلفاؤه ،فقد تآمروا للقضاء عليه مع بعض امراء العرب ،وكان عمارة اليمني الشاعر من جملتهم ولكن حينما ظفر به صلاح الدين قتله ثم صلبه .

وقد نشبت معركة ضارية في الاسكندرية عند وصول الاسطول الصقلي المؤلف من عدد كبير من السفن تحمل حوالي خمسين الف رجل في نحو ستمائة قطعة سنة ٥٧٠هـ واستطاع صلاح الدين القضاء عليها بفضل اكتشافه للمؤامرة والقضاء على تحالف الامراء العرب قبل وصول النورمان (٢) .

كانت آخر محاولات ملوك صقلية غزو الشرق العربي هي تلك الحملة المشبوهة الملقبة بالحملة الصليبية السادسة التي قادها فردريك الثاني (الانبرور) سنة ١٢٢٨م- ٦٢٦هـ حينما وقع الخلاف بين الملك الكامل واخيه الملك المعظم فسارع الكامل على غرار سابقيه مستنجدا بالانبرور واعدا اياه باعطائه القدس لقاء خدماته له ، ووجدها فردريك فرصة سانحة ليحقق مطامع البابوية باستعادة بيت المقدس ،فجاء بتلك الحملة الفريدة المؤلفة من نحو خمسمائة فارس فقط -. ولكن قبل وصول الحملة بقليل توفي المعظم ،واحتار الكامل عند وصول فردريك ماذا يفعل وحاول نقض وعده ،ولكن الانبرور بدأ يستعطف الكامل ويشرح موقفه الصعب امام البابا الغاضب عليه ،وكان كثيرا ما يبكي اثناء مراحل المفاوضات لذا رق قلب الكامل العطوف وقام بتسليمه بيت المقدس تسليم أخ لاخيه .

---

١ - د/ عبد القادر احمد اليوسف :العصور الوسطى الاوربية .

٢ - شهاب الدين /ابي شامه المقدسي : كتاب الروضتين في اخبار الدولتين .

ملحق (١) .

من تاريخ الحضارات العام - تأليف / ادوار بري / ترجمة يوسف داغر وفريد داغر .

فجر الاسلام من القرن السابع الى القرن التاسع .

بين اوربا الغربية الآخذة مدنيتها بالقهقرى ،وبين العالم الآسيوي الذي لم يستجمع بعد نشاطه ويسترجع عافيته مما الم به من ضربات موجعة انزلتها به جحافل برابرة البدو والرحل ظهر الاسلام كالشهاب الساطع ،فحير العقول بفتوحاته السريعة القاصمة، باتساع رقعة الامبراطورية الجديدة التي أنشأها .

نحن امام شعب كان بالامس الغابر مجهول الاسم ،مغمور الذكر ،فاذا به يتحد ويتضامّ في بوتقة الاسلام ،هذا الدين الجديد الذي انطلق من الجزيرة العربية ،اكتسحت جيوشه ببضع سنوات ،الدولة الساسانية وهدت منها الاركان ،وفرضت بنوده فوق الولايات التابعة للامبراطور البيزنطية في آسيا وافريقيا ،باستثناء شطر صغير منها يقع غربي آسيا الصغرى ، ولم تلبث جيوشه ان استولت بعد قليل ،على معظم اسبانيا وصقلية ،وان تقتطع لأمد من الزمن يقصر او يطول ،بعض المقاطعات الواقعة في غربي اوربا وجنوبها ،ودقت جيوشه بعنف شديد ابواب الهند والصين ،والحبشة والسودان الغربي ،وهددت غالبا القسطنطينية بشرّ مستطير وقد تهاوت الدول امام الدفع العربي الاسلامي كالاكر ،وتدحرجت التيجان عن رؤوس الملوك كحبات سبحة انفرط عقدها النظيم ،وهذه الاديان التي سيطرت على الشعوب والاقوام الضاربة بين سيرا داريا والسنغال ،ذابت كما يذوب الشمع امام النار ،بعد ان اطل على الدنيا دين جديد له من الاتباع والمريدين ،اليوم ،مايزيد على ثلاثمائة مليون ،واعلى غبار الفتح وصلصلة السلاح عن امبراطورية جديدة ولا أوسع ،وعن حضارة ولا اسطع ،وعن مدنية وذارو عول عليها الغرب في تطوره الصاعد ورقيه البناء ،بعد ان نفخ الاسلام في قسم موّاته من التراث الانساني القديم روحا عادت معه الحياة ،فنبض وشع وأسرى .

ولهذه الاسباب مجتمعة ، كان لابدّ ان تحيل تاريخ العالم الاسلامي مجدا مرموقا في ثقافة رجل العصر ،كما كان لابد لرجل العصر هذا من

يفهم جيدا ان المدنية لايقتصر مدلولها على شعب او بلد متحيز في الزمان ، وأن يعرف جيدا ان قبل توما الاكويني الذي رأى النور في ايطاليا طلع ابن سينا المولود في احدى مقاطعات التركستان ، وان مساجد دمشق وقرطبة ارتفعت قبابها قبل كاتدرائية نوتردام في باريس بزمان ، ولا ينتقص من شأن العالم الاسلامي اليوم فيما يعاني من غمرة ستنقشع بأسرع مما يظن ، والاّ ينظر للتاريخ الاسلامي من خلال مرئيات الف ليلة وليلة ، هذا الاثر المدهش ، الاجنبي النشأة ، الذي دالت ايامه وزالت لياليه ، والذي مازال العرب ينظرون اليه بشيء من الحنين الى الفردوس المفقود ، بل علينا اعتبار هذا التاريخ قطعة من صميم التاريخ الانساني المتنوع بتنوع الازمنة والامكنة ، والذي لايزال ، بالرغم من جزئياته وخصوصيّاته ، تاريخ هذه البشرية الواحدة الجمعاء .

ملحق رقم (٢)

من رسالة ارسلها صلاح الدين الايوبي الى الديوان تشتمل على تعداد ما للسلطان من الايادي في جهاد الفرنج في حياة نور الدين محمود ،ثم فتح مصر واليمن وبلاد جمة من اطراف المغرب ،واقامة الخطبة العباسية فيها .

اما الأعداء المحدقون بهذه البلاد ،والكفار الذين يقاتلوننا بالممالك العظام ،والعزائم الشداد . فمنهم صاحب القسطنطينيّة ،وهو الطاغية الأكبر والجالوت الاكفر ،وصاحب المملكة التى اكلت على الدهر وشربت ،وقائم النصرانية الذي حكمت دولته على ممالكها وغلبت ،جرت لنا معه غزاة بحرية ومناقلات ظاهرة وسريّة ،ولم يخرج من مصر الى وصلتنا رسله في جمعة واحدة نوبتين بكتابين ،كل واحد منهما يظهر فيه خفض الجناح ،والقاء السلاح والانتقال من معادات الى مهادات ومن مفاضحة الى مناصحة ،حتى انه انذر صاحب صقليّة واساطيله التي تردد ذكرها ،وعساكره التي لم يخف امرها ،ومن هؤلاء الكفار هذا صاحب صقلية ،كان حين علم بان صاحب الشام وصاحب القسطنطينية قد اجتمعا في نوبة دمياط فغلبا وفرّا وهزما وكسرا ،اراد ان يظهر قوته المستقلة ،فعمّر اسطولا استوعب فيه ماله وزمانه . فله الآن خمس سنين يكثر عدته وينتخب عدته ،الى ان وصل منها في السنة الحالية الى الاسكندريّة امر رايع ،وخطب هايل ،ما اثقل ظهر البحر مثل حمله ،ولا ملا صدره مثل خيله ورجله ،وما هو الا اقليم ،بل اقاليم يقلّه ،وجيش ما احتفل ملك قط بنظيره ،لولا ان الله خذله .

من هؤلاء الجيوش البنادقة والبياشنة والجنوية ،كل هؤلاء تارة يكونون غزاة لاتطاق ضراوة ضرّهم ، لاتطفا شرارة شرهم ،وتارة يكونون سفارا على الاسلام يحتكمون في الاموال المجلوبة ،وتقصر منهم يد الحكام المرهوبة ،وما منهم الاّهو الآن يجلب الى بلدنا آلة قتاله وجهاده ،ويتقرب الينا باهداء طرائف اعماله وتلاده ،وكلهم قد قررت معهم المواصلة ،وانتظمت معهم المسالمة على ما نريد ،ويكرهون ،وعلى ما نوثر وهم لايوثرون .

ولمّا قضى الله سبحانه بالوفاة النّورية وكنا في تلك السنة على نية الغزاة . الخ....

ملحق رقم (٢)

من كتاب الرحلة لابن جبير .

ومن اعظم ما مني به اهل هذه الجزيرة (صقليّة) ان الرجل ربما غضب على ابنه ا(او على زوجه او تغضب المرأة على ابنتها فتلحق المغضوب عليه انفة تؤديه الى التطارح في الكنيسة فيتنصّر ويتعمد ،فلا يجد الاب للابن سبيلا ولا الام للبنت سبيلا .

فتخيّل حال من يمنى بمثل هذا في اهله وولده ويقطع عمره متوقعا لوقوع هذه الفتنة فيهم ، فهم الدهر كله في مداراة الاهل والولد خوف هذه الحال .

واهل النظر في العواقب منهم يخافون ان يتفق على جميعهم ما اتفق على اهل جزيرة اقريطش من المسلمين ،في المدة السالفة ،فانه لم تزل بهم الملكة الطاغية من النصارى والاستدراج الشيء بعد الشيء حالا بعد حال حتى اضطروا الى التنصّر عن آخرهم ،وفرّ منهم من قضى الله بنجاته

ومن اعجب ما شاهدناه من احوالهم التي تقطع النفوس اشفاقا وتذيب القلوب رأفة وحنانا ،ان احد اعيان هذه البلدة وجّه ابنه الى احد اصحابنا الحجاج راغبا في ان يقبل منه بنتا بكرا صغيرة السن قد راهقت الادراك فان رضيها تزوجها ،وان لم يرضها زوجها ممن رضي لها من اهل بلده ،ويخرجها مع نفسه راضية بفراق ابيها واخوتها طمعا في التخلص من هذه الفتنة ورغبة في الحصول في بلاد المسلمين بلxxxxxx فطاب الاب والاخوة نفسا لذلك لعلهم يجدون السبيل للتخلص الى بلاد المسلمين بأنفسهم اذا زالت هذه العقلة المقيدة عنهم .

فتأجر هذا الرجل المرغوب اليه بقبول ذلك وأعنّاه على استغنام هذه الفرصة المؤدية الى خير الدنيا والآخرة . وطال عجبنا من حال تؤدي بانسان الى السماح بمثل هذه الوديعة المعلقة من القلب واسلامها الى يد من يغرّبها ،واحتمال الصبر عنها ،ومكابدة الشوق اليها والوحشة دونها ،كما أنّا استغربنا حال الصبية صانها الله ،ورضاها بفراق من لها رغبة في الاسلام واستمساكا بعروته الوثقى ،والله عز وجل يعصمها ويكفلها ويؤنسها بنظم شملها ،ويجمل الصنع لها بمنه ،واستشارها الاب فيما هم به من ذلك فقالت له : ان امسكتني فأنت مسئول عني . وكانت هذه الصبية دون أم ،ولها اخوان وأخت صغيرة اشقاء لها .

مصادر البحث.

المؤلف	اسم الكتاب	دار النشر	مكان النشر
راهيم‌علي طرخان	المسلمون في اوربا في العصور الوسطى	مؤسسة سجل العرب	القاهرة
ب ارسلان	تاريخ غزوات العرب	مكتبة الحياة	بيروت
بالد.ر.لويس احمد محمدعيسى	القوى البحرية والتجارية في الحوض البحر المتوسط من ٥٠٠ – ١١٠٠م	مكتبة النهضة المصرية	القاهرة
ي قلعجي	صلاح الدين الايوبي	دار الكاتب العربي	لبنان
ماد الاصفهاني	خريدة القصر وجريدة العصر/تحقيق الاستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم	دارنهضة مصرللطباعة والنشر	القاه
سان‌عباس	العرب في صقلية	دار المعارف	القاهر
ب‌حتي /ادوارد جي	تاريخ العرب مطول	دار الكشاف للنشر	بيروت
لاذري/احمدبن‌يحى الدكتور صلاح الدين المنجد	تاريخ البلاذري	مكتبة النهضة المصرية	القاهر
الاثير	الكامل في التاريخ	داربيروت للطباعة	لبنا
قري/احمدبن‌محمد	نفح الطيب	مطبعة السعادة	القاهر
د عزةدروزه	تاريخ الجنس العربي	المكتبة العصرية	بيروت
خلدون	كتاب العبر	دار الكتاب اللبناني	بيروت
سن ابراهيم حسن	تاريخ الدولة الفاطمية	مكتبة النهضة المصرية	القاه
ارتينوماريومورينو	المسلمون في صقلية	منشورات الجامعة اللبنانية	بيروت
يلاماري	المكتبة العربية الصقلية	ليبسك طباعة	بغداد
ابراهيم‌حسن د شرف	عبيد الله المهدي	مكتبة النهضة	القاهرة
====	المعز لدين الله الفاطمي	مكتبة النهضة المصرية	القاه
عذاري المراكشي	البيان المغرب	مكتبة صادر	بيروت
السيدعبد العزيزسالم	المغرب الكبير /العصر الاسلامي	الدار القومية للطباعة والنشر	

المؤلف	اسم الكتاب	دار النشر	مكان ال
٢٠ـ الحافظ الوليد المعروف بابن الفرضي	تاريخ العلماء والرواة	مكتبة الخانجي	القاهرة
٢١ـ ادوارد بروي/ترجمة يوسف داغر وفريد داغر	تاريخ الحضارات العام	منشورات عويدات	بيروت
٢٢ـ ابن تغري بردى/جمال الدين	النجوم الزاهرة	مطبعة دار الكتب المصرية	الق
٢٣ـ د.محمد السيد غلاب	الساحل الفينيقي وظهيره	دار العلم للملايين	بيروت
٢٤ـ د.السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي	تاريخ البحرية الاسلامية	دار النهضة العربية	بيروت
٢٥ـ د.نقولا زياده	لمحات من تاريخ العرب	دار الكتاب اللبناني	بيروت
٢٦ـ ابن جبير	الرحلة	دار التراث	بيروت
٢٧ـ د.احسان عباس	ديوان ابن حمديس	دار بيروت للطباعة والنشر	بيرو
٢٨ ـ د/السيد يعقوب بكر	محاضرات في حضارة الشرق الادنى القديم	مكتب كريديه اخوان	بيروت
٢٩ ـ احمد بن زيني دحلان	الفتوحات الاسلامية	مؤسسة الحلبي وشركاه	القاه
٣٠ ـ د/ نور الدين حاطوم	تاريخ العصر الوسيط في اوربا	دار الفكر	بيروت
٣١ـ د/ سعيد عبد الفتاح عاشور	الحركة الصليبية	مكتبة الانكلو المصرية	الق
٣٢ ـ د/ عبد القادر احمد اليوسف	العصور الوسطى الاوربية	المكتبة العصرية	بير

محتويات البحث

١ / ١١ /٦ ١٩٧ م